الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

العلاقات الجزائرية التونسية من خلال كتاب إتحاف أهل الزمان لابن أبي الضياف (1198 – 1288هـ / 1782 – 1872م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة: نعيمة شابي

إشراف الأستاذ: د.عاشوري قمعون

لجنة المناقشة:

أ/ جباري عثماني رئيسا

د/ عاشوري قمعون مشرفا ومقررا

أ/ السعيد عقبة عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1434-1435هـ/ 2013-2014م

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي
أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي
عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾
النمل:١٩

توطئـــــــــــــة

اللهم لا تجعلني أصاب بالغرور إذا نجحت ولا باليأس

إذا أخفقت وذكرني دائما بان الإخفاق هو التجربة

التي تسبق النجاح

اللهم إذا أعطيتني نجاحا فلا تأخذ تواضعي وإذا

أعطيتني تواضعا فلا تأخذ اعتزازي بكرامتي .

آمين

الإهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

"قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"

صدق الله العظيم

لايطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ..ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك .. ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ...ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك – الله جل جلاله –

إلى حبيبنا ونور قلبنا وذهاب همنا وجلاء أحزاننا ، إلى من بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة .. وأزال الغمة ...طبيب القلوب وشفاؤها ونور الأبصار وضياؤها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

إلى من جُعلت الجنة تحت قدميها ، إلى التي أشرقت الشمس بين يديها ..إلى ملاكي في الحياة .. إلى معنى الحب والى معنى الحنان والتفاني .. إلى بسمة الحياة وسر الوجود .

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب أمي الحنونة أطال الله في عمرها .

إلى من كلله الله بالمهيبة والوقار ..إلى من علمني العطاء دون انتظار ..إلى من أحمل اسمه بكل افتخار .. ارجوا من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا حان قطافها بعد طول انتظار ..وستبقى كلماتك نجوما اهتدي بها اليوم وفي الغد والى الأبد أبي الغالي أطال الله في عمره.

فمهما قلت أو صنعت فلن أوفيهما حقهما ولكن أقول لهما قول المولى عز وجل: وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيراً .

إلى من هو في الفؤاد مشاعر الإيمان إلى من محبتي لهو فيض من الوجدان إلى الورقة المسطرة على قلبي واحملها أينما سرت إخوتي الأعزاء ياسين ،حكيمة وزوجها أحمد، آمال، صدام حسين ،يوسف ، زينب ، وسام.

إلى الزهور التي تعطر حياتي أبناء أختي : اميمة، عبد الرزاق، خلود .

إلى من أحبه فوق الظنون جدتي ، وخالي العزيز ، أعمامي الأعزاء وخالاتي الحبيبات.

إلى التي فرقتني عنها الحياة ، لكن لم تمحي صورتها الذكريات عمتي الغالية رحمها الله وأسكنها فسيح جنانه.

إلى من بهن أكبر وعليهن اعتمد ... إلى شمعات متقدات تنير ظلمة حياتي ... إلى من بوجودهن اكتسب قوة ومحبة لا حدود لها .

إلى من معهن أسعد وبرفقتهن في دروب النجاح والخير سرت صديقاتي :منال حنان ، سلوى ، فطيمة، نبوية ، نجود، إيمان، آسيا ، آمال ،حميدة ، فتيحة، عواطف ، كريمة، كوثر.

إلى كل العائلة والأحباب والأصدقاء.

إلى كل من أضاء بعلمه عقل غيره أو هدى بالجواب الصحيح حيرة سائليه ، فاظهر بسماحته تواضع العلماء وبرحابته سماحة العارفين أساتذتي الفضلاء

إلى كل من أحبه قلبي ونساه قلمي .

نعيمة

شكـــــر وعرفـــــان

قال الله تعالى: "ولئن شكرتم لأزيدنكم".

فشكره سبحانه وتعالى على ما منّه من توفيق في إنجاز هذه المذكرة.

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"ومن لم يشكر الناس لا يشكر الله ".

فشكر وتقدير وعرفان للأستاذ المشرف الدكتور **عاشوري قمعون**، وإلى كل من قدم لي يد العون، ونخص بالذكر منهم الأساتذة الفضلاء : الدكتور علي غنابزية، والأستاذ نور الدين صحراوي، والأستاذ الجباري عثماني، والأستاذ السعيد عقبة.

كما أتقدم بالشكر إلى أصحاب المكتبات، منهم: عمال مكتبة الجامعة المركزية، وبالأخص مروة بنين، وعمال مكتبة سيدي سالم، ولا سيما هناء، يسرى،عايدة، وعمال مكتبة دار الثقافة بالوادي، وخاصة مريم، وعمال متحف المجاهد بالوادي، وخاصة نبوية شباح، وإلى كل عمال مكتبة بلدية تغزوت.

وإلى كل من لهم فضل علي في انجاز هذا الموضوع وأذكر منهم: حمزة حفوظة، عمار عوادي، وعبد القادر عزام عوادي، ومحمد عوادي، و لزهاري عوادي، وإبراهيم شويخ، و الزبير بن بردي، وحليمة تركي، ونجود حمصي، وكريمة درويش، وفطيمة ممي، وحنان العبسي، وسلوى شابي، وإيمان عوادي.

وإلى كل أساتذتي ومن أفادني من قريب أو بعيد جزاهم الله عني كل خير.

قال تعالى:"ولا تنسوا الفضل بينكم، إن الله بما تعملون بصير"

صدق الله العظيم. البقرة، الآية237.

مقدمة

مقدمة

1. تقديم الموضوع :

لقد شكلت العلاقات بين بلدان المغرب العربي جسرا للتواصل مع بعضها البعض في كافة المجالات الحياتية ، وكان هذا التواصل منذ العصور القديمة ،واستمر لغاية وقتنا الحالي، ومنه العلاقات التي ربطت بين البلدين المتجاورين: الجزائر وتونس على كافة الأصعدة، سواءً أكانت سياسية عسكرية، أم اقتصادية اجتماعية، أم ثقافية فكرية. وسنحاول من خلال هاته الدراسة، تسليط الضوء على العلاقات الجزائرية التونسية من خلال كتاب (إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان لابن أبي الضياف (1198- 1288هـ/1782-1872م).

2. الإشكالية :

لقد سعيت من خلال تناولي لهذا الموضوع إلى الإجابة عن الإشكالية الآتية :

كيف كانت العلاقات الجزائرية التونسية على حسب منظور ابن أبي الضياف في كتابه ؟وما هي أبرز مميزاتها؟

وتندرج تحتها عدة إشكالات فرعية منها: من هو ابن أبي الضياف؟ وفيم تمثل مضمون كتابه الإتحاف؟ ماهي أهم العلاقات السياسية والعسكرية الرابطة بين البلدين؟ وفيم تجلت العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بينهما؟ وإلى أي مدى ساهم التواصل الثقافي المتبادل بينهما في ربط أواصر هاته العلاقات؟.

3. دواعي اختيار الموضوع :

لقد تعددت الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع، ويمكن أن أذكر منها النقاط الآتية :

- التعرف عن العلاقات السياسية والعسكرية التي ربطت البلدين قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر، أي خلال الفترة العثمانية. وبعد الاحتلال: بهدف التعرف على التغيرات التي طرأت على العلاقات بين الجزائر وتونس.

- الاطلاع على طبيعة العلاقات الاجتماعية التي ربطت بين شعوب البلدين، والتعرف على وضعيتهم بالبلاد التونسية، وعلاقاتهم الاقتصادية وأنشطتهم الممارسة هناك.

– محاولة اكتشاف طبيعة العلاقات من خلال التعرف على وجوه التقارب والتباعد، وأسباب ذلك من خلال اطلاعي على العوامل المتحكمة في طبيعة العلاقات بين البلدين.

– محاولة استنباطي للعلاقات الثقافية المتبادلة بين البلدين الشقيقين من خلال مصدر الدراسة (إتحاف أهل الزمان).

– التعرف على محتوى إتحاف أهل الزمان .

4. المنهج المتبع :

إنّ المنهج الذي اتبعته هو المنهج الوصفي التاريخي من خلال سردي لبعض الروابط السياسية والعسكرية وأحداثهما التاريخية، ووصف العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، بالإضافة إلى العلاقات الثقافية، مع تقديم بعض الملاحظات والتحليلات متى أمكن ذلك من خلال اعتمادي على استنباط هاته العلاقات الموجودة في مصدر الدراسة، وتفحصها ونقدها بالاعتماد على المصادر والمراجع المعتمدة في الموضوع.

5. تقسيمات الموضوع :

وتناولت الموضوع وفقا للخطة الآتية حيث قسمت بحثي إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، ثم ذيلته بملاحق وفهارس.

وكان الفصل الأول بعنوان ابن أبي الضياف (حياته وكتابه إتحاف أهل الزمان)، وقد تضمن عنصرين : أولهما التعريف بابن أبي الضياف، واندرج تحته أربعة عناصر هي: مولده ونشأته، ثقافته وشيوخه، وظائفه، وفاته وآثاره. في حين تضمن العنصر الثاني دراسة كتاب إتحاف أهل الزمان، وانضوت تحته ثلاثة عناصر هي: الأول: بعنوان التعريف بكتاب إتحاف أهل الزمان ، والثاني: منهج ابن أبي الضياف في كتابه، والثالث: مصادر كتاب ابن أبي الضياف.

وأبرزت في الفصل الثاني العلاقات السياسية والعسكرية من خلال إتحاف أهل الزمان، متضمنا عنصرين أيضا أولهما: العلاقات السياسية، وقد وضحت في عناصره الخمسة: العلاقات السياسية قبل احتلال الجزائر، الحدود والوكلاء، موقف بايات تونس من الاحتلال الفرنسي للجزائر، بالإضافة لعلاقة المقاومة الجزائرية بنظام الحكم في تونس، وثورة علي بن غذاهم عام1864م ونتائجها. أمّا العنصر الثاني وعنوانه: العلاقات العسكرية انضوت تحته

أهم الحملات العسكرية بين البلدين من خلال كتاب ابن أبي الضياف وهي: محلة تونس نحو قسنطينة عام 1221هـ/1807م، وموقعة سلاطة عام1222هـ/1807م، ومحاولة الجزائر حرب تونس عام1223هـ/1808م، والحملة البحرية الجزائرية عام 1226هـ/1811م، وحملة حلق الوادي نحو الجزائر عام 1236هـ/1821م.

أما فيما يخص الفصل الثالث الذي حاولت التعرف من خلاله على العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية من خلال إتحاف أهل الزمان، فقد تناولت فيه: العلاقات الاجتماعية من خلال الهجرة الجزائرية إلى تونس، وعلاقات الحنانشة والزواوة بتونس، وانتقلت بعدها للعلاقات الاقتصادية، وسلطت الضوء على أهم عنصرين هما: السلع والبضائع المتبادلة، والطرق التجارية الرابطة بين البلدين. كما تطرقت للعلاقات الثقافية الرابطة بين الجزائر وتونس من خلال تناولي لثلاثة عناصر هي: زيارات العلماء واستفتاؤهم، الرحلة العلمية الجزائرية إلى تونس، دور الطرق الصوفية في التواصل بين البلدين، ثم ذيلت بحثي بخاتمة تضمنت النتائج المتوصل إليها من خلال هاته الدراسة.

6. أهم المصادر والمراجع:

واعتمدت في دراسة هذا الموضوع على مجموعة من المصادر والمراجع، كان في مقدمتها كتاب الإتحاف محل الدراسة، بأجزائه الثمانية لصاحبه أحمد بن أبي الضياف، الذي كان اعتمادي عليه من خلال استنباط العلاقات الرابطة بين تونس والجزائر على مختلف الأصعدة. إلا أنني حاولت استعمال العديد من المصادر لتأكيد المعلومة أو نقدها. ومن هاته المصادر نذكر على سبيل المثال: صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار لمحمد بيرم الخامس، وتضمن معالجة الحالة الاقتصادية خاصة على عهد حمودة باشا (1782- 1814م) بحكم دراسته لسياسة الباي التونسي الاقتصادية. كما استعنت بشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، والتتمة لمحمد بن محمد مخلوف في تعريفي للشخصيات المتداولة في هذا الموضوع، وكذا مصدر تعريف الخلف برجال السلف في جزئه الثاني لصاحبه بالقاسم الحفناوي، حيث تناول تراجم لعلماء الجزائر، وكذا علماء أقطار كل من تونس والمغرب وغيرها. أما فيما يتعلق بالمراجع، فقد استندت على علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي للأستاذ عميراوي حميدة، الذي يسر لي التعرف على طبيعة العلاقات، خاصة من الناحية السياسية والاجتماعية، وكذا كتاب تاريخ قسنطينة لصاحبه يحي بوعزيز الذي قدم لي صورا واضحة

للعلاقات العسكرية، إلا أن الحال أعجزني في الحصول على الوثائق الأرشيفية التي كان بإمكانها أن تقدم لي فائدة كبيرة، خاصة ما تعلق بالعلاقات الاجتماعية بين البلدين.

ولا يفوتني هنا أن أعتذر عن أي نقص أو خطإ اعترى موضوعي، رغم محاولتي الملحة في بذل الجهد للاجتهاد والإلمام بكافة عناصره، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان. ويبقى اعتقادي قائماً أن إفادات الأساتذة الأجلاء وملاحظاتهم، سيكون لهما الأثر البالغ في إثراء هاته المذكرة، وتصويب الزلات التي وقعت فيها.

وفي الأخير، لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر والتقدير لأستاذي عاشوري قمعون الذي لم يدخر جهدا في سبيل تقديم أقصى ما لديه من أجل إفادتي. وفي هذا المضمار أقر بمجهوداته المعتبرة، وآرائه السديدة، مع اعترافي بفضله على ما قدمه لي من ملاحظات قيّمة وتوجيهات علمية وتصويبات نقدية، فجزاه الله عني خير الجزاء، وجعله ذخرًا للأجيال القادمة.

كما يسعدني أيضا أن أشكر الأستاذين الفاضلين: الجباري عثماني، ونور الدين صحراوي اللّذيْن لم يبخلا علي بما منحهما الله من نعمة علمية عظيمة، فأرجو من الله ان يعطيهما من أوسع أبواب رزقه.

الفصل الأول: ابن أبي الضياف (حياته وكتابه إتحاف أهل الزمان)

أولا: التعريف بابن أبي الضياف

1. مولده ونشأته
2. ثقافته وشيوخه
3. وظائفه
4. وفاته وآثاره

ثانيا: إتحاف أهل الزمان (دراسة الكتاب)

1. التعريف بكتاب إتحاف أهل الزمان
2. منهج ابن أبي الضياف في كتابه
3. مصادر كتاب ابن أبي الضياف

الفصل الأول: ابن أبي الضياف (حياته وكتابه إتحاف أهل الزمان)

أولا: التعريف بابن أبي الضياف

رغم أهمية شخصية أحمد بن أبي الضياف ومنزلته التاريخية، حيث بقي إسمه محفورا في الذاكرة الجماعية، إلا أننا مع ذلك لم تسعفنا الدراسات بأخبار دقيقة عن جميع أطوار حياته، فحتى ما جاء في سيرته من خلال العديد من المؤلفات كان مجرد استيقاء من ترجمتين هما: ترجمته الموجودة في الرائد التونسي، أما الثانية فتمثلت في ترجمته التي جادت بها صفحات الجزء الأول من كتاب إتحاف أهل الزمان.

1. مولده ونشأته:

هو أبو العباس أحمد بن الحاج بالضياف بن عمر بن أحمد بن نصر بن محمد بن المجذوب الولي أبي العباس سيدي أحمد الباهي العوني[1]، الذي يعرف بأبي زيد أو أبي العباس.[2] يعود أصله إلى قبيلة أولاد عون.[3] وقد كان مولده عام 1217هـ/ 1802م[4]، أين نشأ ابن أبي الضياف بين يدي والده[5] الذي صرف كامل عنايته لتربيته وتعليمه[6]. وقد كانت عائلته تتمتع بحظوة لكونها تنتسب إلى قبيلة فخورة بأصولها العربية وعصبتها المنيعة، مما أضفى عليها مكانة بين العروش المجاورة لها، بالإضافة لكون عائلته تنتسب إلى ولي من أولياء الله الصالحين، وهو

---

[1] – أحمد بن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، مج1، ج1، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، ط2، تونس، 2004م، ص VII.

[2] – يوسف اليان سركيس، **معجم المطبوعات العربية والمعربة**،ج1، مطبعة سركيس، مصر، 1346هـ/ 1928م، ص 33. وفي الصيغة التونسية الدارجة بالضياف. ينظر: حسن حسني عبد الوهاب، **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، مج2، القسم1، مرا: محمد العروسي المطوي، بشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1425 هـ/ 2005م، ص 559. وبالشيخ أحمد بن أبي الضياف التونسي. ينظر: إسماعيل باشا البغدادي، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، مج1، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1951م، ص 190.

[3] – **قبيلة أولاد عون**: هي إحدى القبائل التونسية بمنطقة سليانة، تتصل من جهة القبلة بأرض السرج من عمل جلاص، ومن جهة الجوف بعمل تبرسق، وشرقا قبيلة أولاد يحي، وغربا قبيلة أولاد عيار. أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج1،ج1، صVII. ينظر كذلك: **رسائل أحمد بن أبي الضياف السرية إلى محمود بن عياد1850– 1853م**، دراسة وتحقيق: يونس وصيفي، مطبعة الشرق، ط1، تونس، 2005م، ص 12.

[4] – محمد السنوسي، **ذيل أقدم ترجمة لابن أبي الضياف، مجمع الدواوين التونسية**، حوليات الجامعة التونسية، ع5، ص 116. غير أن التاريخ المتداول هو 1219هـ وكان قد ورد في مقال الرائد التونسي بتاريخ 23 شعبان 1291هـ وهو خطأ، فلم يلتفت المهتمون بالترجمة إلى التصحيح الذي أدرج في العدد الموالي. ينظر: أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج1، ج1، ص V.

[5] – الشيخ محمد النيفر، **عيون الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب**، ج2، ط1، تونس، 1351هـ، ص 130.

[6] – حسن حسني عبد الوهاب، المرجع نفسه، ص 559.

سيدي أحمد الباهي. فكانت لهم بذلك المرتبة العليا، وذلك لبركته الخارقة والمتوارثة أبا عن جد في منطقتهم المعهود عنها التعلق بالتقاليد العريقة[1].

كما أن منشأه كان وسط البذاخة والرفاهية، وذلك يعود لكون والده يشتغل بالكتابة[2]. ويقول محمد السنوسي في ترجمته: "فقد نشأ فيها نشأة صالحة، وكانت تجارة والده به تجارة رابحة، فإن والده على ما كان عليه من بذاخة الشأن ورفاهية الحال"[3]، إلا أن هاته العائلة امتحنت سنة 1815م، حيث كان أحمد بن أبي الضياف في سن الثالثة أو الرابعة عشرة من عمره، وذلك يعود لكون والده سجن وافتكت أرزاقه بعد وفاة الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع، وهذا ما جعل العائلة تنتقل من بيتهم إلى بيت جدهم لأمهم للتكفل بهم، إلى أن أطلق سراحه وعاد لمنصبه[4].

أما وصفه فهو قريب إلى الحمرة، ذو حاجبين يتميزان بالغلظة، ضيق البلج، أشم بارتفاع، ذو عينين مدعجتين، كثيف شعر الذقن والعارضين، غلب الشيب على شعر رأسه، ربع القامة مع بعض انحناء مما أضفى على خطاه جمالا، وقد كان دائم الابتسام، حسن المحاضرة، حلو الدعابة، ذا نفس عزيزة وأخلاق كريمة، يتمتع بالعفة والوقار والهمة العالية، كما كان شديد الكلمة[5].

2. ثقافته وشيوخه:

لقد شجع الحاج بالضياف ابنه للتفرغ للعلم، وذلك سعيا منه لضمان مستقبل ابنه، وتغيير الاتجاه العائلي من العمل المخزني المحفوف بالمخاطر، إلى المناصب العلمية المحترمة، وذلك لضمان الاستقرار والوجاهة العلمية، لأن والد أحمد بن أبي الضياف اضطرته الظروف الحياتية إلى الانقطاع عن الدروس وذلك لغاية التكسب[6]، بحيث أنه " لم يكن في العلم ذا بضاعة سوى أنه حسن الخط"[7].

---

[1] – الصادق الزمرلي، **أعلام تونسيون**، تق وتع: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1986م، ص 71.

[2] – أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج1، ج1، ص د.

[3] – محمد السنوسي، المصدر السابق، ص 114.

[4] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج4، ج8، ص 38.

[5] – نفسه، مج1، ج1، ص XIII.

[6] – نفسه، مج1، ج1، ص د.

[7] – نفسه، مج4، ج8، ص 38.

ومن هنا حرص والده على منحه تربية مطابقة لمنزلته الاجتماعية، فمنذ بلوغه سن الخامسة أو السادسة[1]، التحق بكتاب سيدي ابن عروس لتعلم مبادئ القراءة وحفظ القرآن الكريم،[2] وكما يقول ابن خلدون: "أما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان، الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله"[3]، حيث كان تعلمه بالمرحلة الإبتدائية بزاوية ابن ملوكة خارج باب القرجاني[4]. ويعود اجتيازه هاته المرحلة بسرعة[5] لتميزه بقوة الذاكرة، إضافة لطبعه المجد والمتزن. استهل دراسته للعلوم النقلية والعقلية على أيدي نخبة من مدرسي جامع الزيتونة البارزين في تلك الفترة[6]. كما تابع دروسه بجامع صاحب الطابع، وقد تميز بالاجتهاد والنجابة، وبرز بين خلانه في في الحفظ وسعة الاطلاع، بالإضافة لنبوغه في الأدب[7]. حيث يقول صاحب عيون الأريب: "ودأب إلى تحصيله عن نحاريره، وكان له ذهن وقاد، ونفس أبيَّة إلى المعالي تنقاد، فحصل على باع مديد، وبصر في العلوم حديد"، خاصة في مجال علم الأدب، بحيث عُدَّ ابن خطيب زمانه، فيقال أنه يحفظ الريحانة لابن الخطيب السلماني[8]، وبراعته في الإنشاء، حيث ذكر ذلك محمد السنوسي بقوله: "إمام أئمة كتبة الإنشاء، والعالم الذي حبر الطروس بالذخائر ووشا، والمجلي في حلبة البلاغة على كل أديب"[9].

كما أن ابن أبي الضياف استقى من مناهل العلوم التي كانت تُدرَّس في تونس خلال القرن 19م[10]، فقد "فاضت ينابيع علومه فيضا، وهطلت سحائب آدابه أيضا، وزاحم أدباء البسيطة طولا وعرضا"[11].

ولم يكتف ابن أبي الضياف بهذا القدر من الثقافة، بل حاول تكوين نفسه استثنائيا من خلال ما استقاه من تجربته السياسية، بالإضافة لسفره إلى الأستانة وباريس، وكذا التأثر بمن اتصل بهم من مثقفي عصره الذين كان لقاؤه بهم في تونس أو خارجها، بالإضافة لحرصه اللامتناهي على اقتناء الكتب، وذلك لغاية إثراء معرفته، حيث

---

[1] – الصادق الزمرلي، المرجع السابق، ص 71.

[2] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج1، ج1، ص هـ.

[3] – عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، دار إحياء التراث العربي، ط4، بيروت، لبنان، ص 538.

[4] – **باب القرجاني**: وهو أحد الأبواب العتيقة، يقع في الجنوب الشرقي من نابل، وبالقرب منه زاوية يزار فيها أبو الشيخ محمد بن ملوكة.ينظر: أحمد بن بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج4، ج7، ص 103، 139، ج8، ص 109.

[5] – محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج3، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان،1404هـ/ 1984م، ص 264.

[6] – الصادق الزمرلي، المرجع نفسه، ص 72.

[7] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج1، ج1، ص و.

[8] – محمد النيفر، المصدر السابق، ج2، ص 130.

[9] – محمد السنوسي، المصدر السابق، ص 114.

[10] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج1، ج1، ص و.

[11] – يوسف اليان سركيس، المرجع السابق، ج1، ص 33.

كان يطلب من خير الدين[1] بعض مؤلفات رجال النهضة المصرية. فقد قضى ابن أبي الضياف مُكبّاً جل وقته على نظر الكتب، حيث أنه لم يدخل عليه في هرمه إلا والصحف دائما بين يديه[2].

أما فيما يخص رتبته الفقهية، "فله اليد البيضاء في العلوم الدينية"[3]، حيث كان متضلعا في علوم الشريعة باعتراف جميع نظرائه بحصافة رأيه[4].

وبالتالي، فقد كان تكوين ابن أبي الضياف حصادا لما تعلم طيلة حياته، فقد صدق صاحب شجرة النور الزكية بقوله: "فلك الأدب وقطبه، وروح جسد البيان وقلبه، وبحر البلاغة الفائض عبابه، وغيث البراعة المستمر أنكابه"[5].

وقد تلقى ابن أبي الضياف معرفته العلمية عن طريق كوكبة كبيرة من الشيوخ والعلماء، حيث عمد لترجمة أغلبهم في كتابه، وهم:

- **ابن الخوجة (ت. عام1241هـ/ 1826م)**: هو أبو العباس أحمد بن محمد بن الخوجة، من شيوخ تونس وعلمائها[6]، وقد نشأ في طلب العلم، وتصدر للتدريس. كما تدرج في الولايات العلمية كجامع محمد الباي المرادي المرادي والمدرسة الشماعية، بالإضافة لتقدمه لخطة القضاء بالمذهب الحنفي، وبعده لخطة الفتوى[7]. وقد قرأ ابن أبي أبي الضياف عليه تذكرة القرطبي في الحديث[8].

- **إسماعيل التميمي (ت. عام 1248هـ/ 1832م)**: هو أبو الفداء إسماعيل التميمي.حفظ القرآن منذ صغره، ثم هاجر إلى تونس. وقد حصَّل العلوم بسرعة، وتصدر للتدريس بالجامع الأعظم، كما جلس للتوثيق، بالإضافة لتوليه خطة القضاء بالحاضرة عام 1221هـ/ 1806م، وبعدها نقل لخطة الفتوى عام 1231هـ/

---

[1] - **خير الدين**: هو من أعيان الوزراء ورجال الكمال، تقرب من المشير أحمد باشا (1837/ 1855م) فقدمه واستخلفه لخدمته، فأتقن العلوم الدينية واللغات التركية والفارسية والعربية، وتقلب في المناصب العسكرية والسياسية على هذا المشير ومن جاء بعده. انتدب لمهمات في فرنسا، وتقلد الوزارة الحربية، والوزارة الكبرى، واستقدمه السلطان عبد الحميد عام 1878م، وبقي في الأستانة حتى توفي عام 1890م. ينظر: محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (التتمة)**، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1350هـ، ص 177. ينظر كذلك: أبو عمران الشيخ وفريق من الأساتذة، **معجم مشاهير المغاربة**، منشورات دحلب، الجزائر، 2007م، ص 171- 172.

[2] - محمد السنوسي، المصدر السابق، ص 116.

[3] - أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج1، ج1، ص X.

[4] - الصادق الزمرلي، المرجع السابق، ص 74.

[5] - محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، مصر، 1349هـ، ص 394.

[6] - عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)**، ج1، مؤسسة الرسالة، ص 263.

[7] - أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج4، ج7، ص 142- 143.

[8] - نفسه، مج1، ج1، ص VIII.

1816م، وأعيد في نفس السنة لخطة القضاء. وبعد إطلاق سراحه، أعيد لخطة الفتوى عام 1824م، وصار رئيسا للفتوى عام 1243هـ/ 1828م، بالإضافة لكونه كان يستفتى من حاضرة العلم فاس، وقسنطينة، والجزائر وطرابلس[1]. وقد قرأ عليه ابن أبي الضياف الزرقاني على المختصر[2].

- **محمد البحري (ت. عام 1254هـ/ 1838م)**: وهو العلامة أبو عبد الله محمد البحري بن عبد الستار. نشأ بين يدي أبيه، وأخذ عنه وعن غيره مبادئ العلوم، وقد تدرج في المناصب، فتصدر للتدريس بجامع قرب داره، وكذا خطة القضاء، كما تقدم للخطبة بجامع أبي محمد الحفصي[3]، وبعدها تولى خطة القضاء بالحاضرة[4]. وقد قرأ عليه ابن أبي الضياف الفقه المالكي[5].

- **محمد بيرم الثالث (ت. عام 1259هـ / 1843م)**: وهو شيخ الإسلام الحنفي، وثالث البيارمة[6]. ولد في 27 ربيع الأول عام 1201هـ. وكان منشؤه في طلب العلم، وتصدر للتدريس وكان متمكنا في علمي المعاني والبيان والمنطق، بالإضافة لإتقانه طريقة الإلقاء التي سنها إبراهيم الرياحي. ومن وظائفه توليه الخطابة بجامع يوسف صاحب الطابع، وكان أول خطيب به. وتقدم للفتوى في حياة والده[7]، وبوفاته عام 1247هـ، حلَّ محله في رئاسة رئاسة المجلس الشرعي الحنفي وخطة نقابة الأشراف، وقد قرأ عليه ابن أبي الضياف مختصر السعد على التلخيص[8].
التلخيص[8].

- **إبراهيم الرياحي (ت. عام 1266هـ/ 1850م)**: هو إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد بن إبراهيم. أصله من طرابلس، رياحي الدار، وقد ولد بتستور وبعدها قدم لتونس[9]. يعرف بأبي إسحاق، حفظ القرآن ببلده، وقد كانت كانت همّته عالية لطلب العلم، حيث قيل فيه: "نحن ننتفع به أكثر مما ينتفع هو بنا"[1].

---

[1] - أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج4، ج8، ص 12.

[2] - نفسه، مج1، ج1، ص VIII. **الزرقاني على المختصر**: ويقصد به شرح الزرقاني على مختصر الشيخ خليل بن إسحاق المالكي، للمؤلف عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن محمد الزرقاني المصري، تح: عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية، ط1، 2002م، مج8.

[3] - **جامع أبو محمد الحفصي**: وهو جامع موجود في تونس، صار محمد السنوسي إماما فيه بعد الشيخ إسماعيل التميمي. محمد بن عثمان السنوسي، **مسامرات الظريف بحسن التعريف**، ج1، تح وتع: محمد الشاذلي النيفر، دار بوسلامة، تونس، 1983م، ص 302.

[4] - أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج4، ج8، ص 35، 36.

[5] - نفسه، مج1، ج1، ص VIII .

[6] - محمد السنوسي، المصدر نفسه، ص 116.

[7] - محمد النيفر، المصدر السابق، ج2، ص 88.

[8] - محمد محفوظ، المرجع السابق، ج1، ص 182. ينظر كذلك : أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج4، ج8، ص 54-55. **مختصر السعد على التلخيص**: يوجد نسخة منه في خزانة الشيخ الطاهر بن عاشور. ينظر: خير الدين الزركلي، **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)**، ج7، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، لبنان، 2002م، ص 74.

[9] - خليل مروم بك، **أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة و الاجتماع**، لجنة التراث العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1971م، ص 261.

وقد أخذ من جامع الزيتونة عن أعلام عصره كصالح الكواش وحسن الشريف، بالإضافة لأخذه الأصول[2] عن إسماعيل التميمي والبيان والمنطق والنحو، بالإضافة لأخذه التصوف. وبعد إتمام تعلمه، انكب مدرسا بجامع الزيتونة، وخلف شيخه محمد الفاسي في تدريس تفسير البيضاوي وصحيح البخاري في جامع صاحب الطابع. ومن الذين تخرّجوا على يده: أحمد بن أبي الضياف[3]، وقد برع في النظم والشعر. ويقول في ذلك صاحب الحلية: "فلله ما أبدع بيانه، وأرفع قدره في الأنام وشأنه، وأعذب نظامه ونثره، وأطرب سجعه وشعره"[4]. وقد عزم على الهجرة لضيق في المعيشة، لكن الوزير أبا المحاسن يوسف صاحب الطابع وضعه في خطة التوثيق. كما اختاره الباي حمودة باشا سفيرا للمملكة المغربية عام 1218هـ لجلب الميرة، كما تولى وظيفة رئاسة أهل الشورى من المفتين على عهد الباشا حسين باي، وشغل العديد من المناصب الأخرى[5]. وقد أخذ عنه ابن أبي الضياف السعد والمكودي [6]على ألفية ابن مالك[7].

- **محمد بن الخوجة(ت. عام 1279هـ/ 1862م)**: وهو أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي العباس حميدة بن الخوجة. اعتنى والده بتربيته وتوجيهه، وطلب العلم بجامع الزيتونة، فأخذ عنه وعن غيره من شيوخ الإسلام في تلك الفترة[8]. وبعد استكمال تحصيله، انتصب لمباشرة النظارة والتدريس بجامع الزيتونة عند تأسيس قانون دراسة العلوم به في سنة 1258هـ/ 1842م[9]. ثم ولي قضاء المذهب الحنفي، ثم نُقل إلى خطة الفتوى وبعدها ترأسها.[10] وقد أخذ عنه ابن أبي الضياف المكودي، والقطر لابن هشام[11].

---

[1] – محمد النيفر، المصدر نفسه، ج2، ص 90.

[2] – **الأصول**: هي العلم بالقواعد التي يُتوصل بها إلى استنباط الفقه. لشهب أبوبكر، **مباحث الحكم الشرعي (رسائل في أصول الفقه والقواعد الأصولية والفقهية)**، مطبعة مزوار، ط1، الوادي، الجزائر، 1430هـ / 2009م، ص 16.

[3] – محمد محفوظ، المرجع السابق، ج2، ص 387- 388.

[4] – الشيخ عبد الرزاق البيطار، **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**،ج1، حققه ونسقه وعلق عليه: محمد بهجت البيطار، دار صادر، ط2، بيروت، 1382هـ/ 1963م، ص67.

[5] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج4، ج8، ص 75-82. ينظر كذلك : الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص 48.

[6] – **المكودي**: وهو كتاب تناول مواضيع الصرف والنحو. ينظر: أبو زيد عبد الرحمان بن علي بن صالح المكودي، **شرح المكودي على الألفية في علمي الصرف والنحو**، ضبط: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان،ص 12، 25.

[7] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج1، ج1،ص VIII.

[8] – نفسه، مج4، ج8، ص 127- 128.

[9] – محمد بن الخوجة، **تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد**، تح وتق: الجيلاني بن الحاج يحي، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1985م، ص 100.

[10] – محمد محفوظ، المرجع نفسه، ج2، ص 257.

[11] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج1، ج1، ص VIII.

- **أحمد الأبي (ت. عام 1274هـ/ 1858م)**: هو أبو العباس أحمد بن الشيخ الفقيه أبي الثناء محمود الأبي الحنفي. ولد عام 1180هـ/ 1766م، وقد أخذ مبادئ العلوم، وبعدها ألزمه شيخه صالح الكواش على التدريس عندما أخذ راية التحصيل باليمين، وكذا تصدره بالجامع الأعظم. وانتخبه الوزير أبو المحاسن يوسف صاحب الطابع إلى إمامة جامعه والتدريس به. كما قدمه المشير أحمد باي مفتيا، فجلس حذو الرئيس ولم يتصدر للفتوى[1]، وأخذ ابن أبي الضياف عنه الأشموني[2].

- **محمد بن ملوكة (ت. عام 1276هـ/ 1860م)**: هو أبو عبد الله محمد ابن الولي أبي الفلاح صالح بن ملوكة. نشأ في كنف والده أين حفظ القرآن الكريم، وحصَّل العلوم على أيدي العديد من العلماء. وتصدر للتدريس، ثم اختار تعليم القرآن بأسلوب لم يُعهد به من قبل، بالإضافة لعدم انقطاعه عن التدريس بجامع الزيتونة وغيره من المساجد. وخوطب للقضاء والفتوى والإمامة بالجامع فامتنع. ويقول ابن أبي الضياف: "وكنت من تلاميذه الساكنين بزاويته، وشاهدت من حسن أخلاقه وعبادته ما يستوقف القلم"[3]. وقد قرأ عنه ابن أبي الضياف الضياف الدرة في الحساب[4].

- **محمد بن سليمان المناعي(ت. عام 1247هـ/ 32_1831م)**: وهو الكاتب أبو عبد الله محمد بن سليمان المناعي. نشأ بقبيلة أولاد مناع من دريد، ثم ارتحل إلى مدينة تونس لطلب العلم، وأخذ عن أعلام الزيتونة في عصره، كما رحل في طلب الفقه إلى فاس[5]. ولما امتلئ بالعلم حوضه، درّس بالجامع الأعظم، وباشر خطة التوثيق، وأولاه الوزير يوسف صاحب الطابع خطة الإشهاد، فخطة الكتابة.[6] وقد أخذ عنه ابن أبي الضياف الزرقاني على المختصر[7].

---

[1] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج4، ج8، ص 104- 105.

[2] – نفسه، مج1، ج1، ص VIII . **الأشموني**: وهو كتاب تناولت مواضيعه قواعد اللغة، وقد علق محمد النيفر(1807/ 1860م) على شرح الأشموني. ينظر: الأشموني، **شرح الأشموني على ألفية بن مالك المسمى " منهج السالك إلى ألفية بن مالك"**، ج1، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1375هـ/ 1955م، ص 46، 63. عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج3، ص 91.

[3] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج4، ج8، ص 109، 111.

[4] – نفسه، مج1، ج1، ص VIII. **الدرة في الحساب**: هي منظومة تسمى "الدرة البيضاء"في علم الفرائض على المذهب المالكي للشيخ العلامة الفقيه عبد الرحمان بن محمد الصغير الأخضري البنطبوسي (918-983هـ/1512-1575م)وهو ينقسم إلى قسمين، الأول منه في الحساب ويقع في130 بيتا، أما الثاني فيتعلق بالفرائض فقها وعملا، ويقع في 460 بيتا. **بحث الأستاذ عاشوري قمعون**.

[5] – محمد محفوظ، المرجع السابق،ج4، ص 393.

[6] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج4، ج7، ص 164، 166.

[7] – نفسه، مج1، ج1، صVIII.

- **عبد الرحمان الكامل (ت. عام 1249هـ/ 1833م)**: هو الشيخ أبو زيد عبد الرحمان الكامل. أصله من أولاد سيدي حمادة من زوايا أولاد عون، وقد أخذ عن علمائها، ومن وظائفه تصدره للتدريس. كما انتخبه الباي حمودة باشا لقلم الإنشاء، وقد انتظم في سلك الكتابة فترة قصيرة على كره ثم استعفى. كما درَّس بالجامع الأعظم وبمدرسة باردو[1]، وقد قرأ عنه ابن أبي الضياف شيئا قليلا من الفقه المالكي.

كما قرأ على السيد البشير الزواوي تفسير ابن فرس[2]، وأتمه قراءة له، وكان في بعض الأحيان ما كان يأمره بإعادة بعض العبارات ليتأمل في معناها، ويدعو له بالفتح والتحصيل، "وما كان لسواهم عليه فضلا، ولا سمع من غيرهم تنبيها ولا قولا". وقد كان يحتل عندهم محبة. كما يعدونه من نوادر الدهر في الحفظ وثقوب الفكر[3].

3. وظائفه:

بدأ ابن أبي الضياف حياته المهنية في غرة شوال 1237هـ/ 21 جوان 1822م[4]، حيث أولاه الأمير حسين باي الثاني خطة العدالة[5] وعمره لا يتجاوز الثماني عشرة سنة[6]. كما كانت تعرف بخطة الإشهاد العام[7] أو أو التوثيق[8]. ونظرا لامتياز ابن أبي الضياف، اجتاز هذه المرحلة، حيث كان من المتوقع أن يدخل الميدان العلمي[9]، العلمي[9]، إلا أن الأمير حسين أولاه خطة الكتابة[10]، وكان ذلك على كره من والده، بالرغم من المعارضة الصريحة التي أبداها كون ابنه صغير السن وضعيف البضاعة[11]، حيث أصبح وزير القلم بالحكومة التونسية[12] في أوائل شوال 1242هـ- أواخر أفريل 1827م[13]. وفي ذلك يقول محمد السنوسي: "وطالما استعان به أعيان الكتابة في

---

[1] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق ، مج4، ج8، ص 16.

[2] – **تفسير ابن فرس**: هو من الكتب الذي تؤخذ منه مسائل الفقه عامة، والمالكي خاصة بالأدلة من الكتاب والسنة. ينظر: البندري بنت عبد الرحمان الهويمل، **منهج ابن الفرس في ترجيحاته في التفسير من خلال كتابه أحكام القرآن**، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن مسعود، السعودية، 1431هـ، ص 3.

[3] – أحمد بن أبي الضياف المصدر نفسه، مج1، ج1، ص IX.

[4] – نفسه، مج1، ج1، ص ز.

[5] – حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، تق وتح: حمادي الساحلي، دار الجنوب، تونس، 2010م، ص 147.

[6] – محمد محفوظ، المرجع السابق، ج3، ص 264.

[7] – حسن حسني عبد الوهاب، كتاب العمر...، مج2، ص 559.

[8] – محمد محفوظ، المرجع نفسه، ج3، ص 264.

[9] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج1، ج1، ص ح.

[10] – محمد النيفر، المصدر السابق، ج2، ص 130.

[11] – الصادق الزمرلي، المرجع السابق، ص 72. ينظر كذلك: أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2،ج3، ص 159.

[12] – إسماعيل باشا البغدادي، المصدر السابق، مج1، ج1، ص 190.

[13] – محمد محفوظ، المرجع نفسه، ج3، ص 264.

ذلك الأوان، وألقوا إليه مقاليد المهمات الواردة من كل مكان، إلى أن ارتقى بنفسه دست الكتابة"[1]، وقد خصه بكتابة سره وضمه إلى وزيره محمد شاكير صاحب الطابع، حيث كان نابغة هاته الدولة ومصقعها الذي "إذا نطق أعجز، أطنب في الكلام أو أوجز"[2]. وقد كان أول من كتب بالقلم العربي للدولة العثمانية العلية[3].

وقد تمكن ابن أبي الضياف من تحقيق نجاح كبير في مهمته، حيث أصبح يباشر في تحرير أهم المراسلات الرسمية والمناشير وقوانين الدولة، فبعد توليه بخمسة أشهر مهمة الكتابة، حرر في سبتمبر عام 1827م منشور الإصلاح الجبائي[4]، بالإضافة لتحريره منشور الباي حسين لسكان قسنطينة سنة 1831م، موضحا طلبه في ضم ضم قسنطينة لتونس حقنا لدماء المسلمين، والنجاة من بطش الاحتلال الفرنسي[5]، بالإضافة لاضطلاعه بمهمات بمهمات دبلوماسية لدى الباب العالي[6].

كما كان على عهد الباي مصطفى من أعضائه وخاصته، فقد طلب منه سنة 1836م توضيح حكم الشرع من "الفرقة" في خضم رفض الإيالة طلب الدولة العثمانية الناص على فرض أداء سنوي، حيث أجابه ابن أبي الضياف: "إن المتسبب في الفرقة هو من يحارب أمة تقر لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة (...) ورضا الأمة هو الأصل الديني في الإمارة"[7].

وعلى عهد أحمد باي، دعمت مكانته، فبعد أن عرف ما لأحمد بن أبي الضياف من خصال، أمده بقلم دولته، بالإضافة إلى تقليده أعلى المراتب، ومنحه نيشان الافتخار في 13 من أشرف الربيعين عام 1257هـ/ 1841م، وبعدها منحه الإشراف المباشر على شؤون الكتابة، ثم رقاه في المناصب حتى منحه تسمية أمير لواء، كما قلده نيشان الافتخار من الصنف الأكبر عام 1265هـ/ 1849م[8].

---

[1] – محمد السنوسي، المصدر السابق، ص 116.

[2] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج1، ج1، ص IX.

[3] – محمد النيفر، المصدر السابق، ج2، ص 130.

[4] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج1، ج1، ص ح.

[5] – نفسه، مج2، ج3، ص 175.

[6] – خير الدين التونسي، **أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك (المقدمة وتقاريظ المعاصرين تحليل النص وتحقيقه مع جداول وملحقات وفهارس للمنصف الشنوفي)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1986م، ص 232. الهامش.

[7] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 204.

[8] – نفسه، مج1، ج1، ص X–IX.

كما أنه، وعلى عهد المشير الأول، كلفه بمهمة سياسية إلى أستانبول مصحوبا بالشيخ خير الدين كاهية، وكان سفره في 08 محرم 1252هـ/ 11 مارس 1842م[1]، كما استصحبه معه إلى فرنسا[2]، بالإضافة لكونه حظي من طرف المشير الأول برتبة دينية، إذ قدمه لرئاسة الفتوى بالمذهب المالكي بعد وفاة شيخه إبراهيم الرياحي عام 1850م، إلا أنه فضل مصلحة قلمه السياسي[3].

واستمر على وظيفته الجليلة مع خلفه محمد باي الذي أولاه مهمة تحرير المكاتيب الهامة[4] كإنشاء مكتوب عهد الأمان[5]، والدستور لعام 1861م[6]. وباعتلاء المشير الثالث محمد الصادق باي، رقاه لرتبة أمير أمراء. وفي ذلك يقول السنوسي "فرقاه في يوم العيد الأصغر من عام سبع وسبعين إلى رتبة أمير أمراء"، وسماه من أعضاء المجلس الأكبر سنة 1277هـ/ 1860م، فكاهية بالمجلس الأكبر في أوائل جمادى الثانية عام 1279هـ[7]، وقد أُبعد عن السلطة منذ الشهور الأخيرة من عام 1281هـ/ 1864م وذلك كغيره من كبار الموظفين. وقد فقد حظوته، وذلك من جراء الدسائس المحاكة له. وبعد سنة 1284هـ /1867م تلاشى نشاطه. وبعد حلّ مشكلته أصبح مستشارا أول بالقسم الثالث من الوزارة الكبرى في جمادى الأولى عام 1287هـ/ جويلية – أوت 1870م، وفي نهاية المطاف منحه الصادق باي لقب وزير لإبقائه في الخدمة[8].

وبعد هاته الجهود المبذولة في خدمة أربعة ملوك مختلفين، وبلاد بأسرها دون مراعاة لظروفه الصحية. وبالرغم من رباطة جأشه، ورصانة طبعه إلا أن تقدم سنه من جهة، وتدهور صحته من جهة أخرى اضطرته للتخلي عن مهامه وتكريس ما تبقى من عمره للعبادة وإعداد تأليفه الشهير "إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان"[9]، وبذلك طلب بإلحاح من الباي إعفاءه من الخدمة وكتب رسالته له ضمنها قوله:

"إن الملوك إذا شابت عبيدهم*** في رقهم عتقوهم عتق أبرار".

---

[1] – محمد محفوظ، المرجع السابق، ج3، ص 265.

[2] – حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة...، ص 147.

[3] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج1، ج1، ص X. ينظر كذلك: محمد المناعي، **رسالة المناعي إلى المشير الأول أحمد باي في الشكوى من أحمد ابن أبي الضياف وسائر أعدائه**، تق وتح: أحمد الطويلي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1397هـ/ 1977م، ص 46.

[4] – محمد محفوظ، المرجع نفسه، ج3، ص 265.

[5] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج4، ص 240.

[6] – خير الدين التونسي، المصدر السابق، ص 232. الهامش.

[7] – محمد السنوسي، المصدر السابق، ص 117-118.

[8] – محمد محفوظ، المرجع نفسه، ج3، ص 266.

[9] – الصادق الزمرلي، المرجع السابق، ص 75.

فأعفاه الأمير، وأجرى عليه جراية مناسبة[1].

4. وفاته وآثاره:

بقي ابن أبي الضياف محلا للاحترام من طرف أولي الأمر، إلى أن أخذته يد المنية يوم الثلاثاء 17 شعبان 1291هـ/ 29 سبتمبر 1874م[2]، وقد حضر جنازته الوزير الأكبر خير الدين، بالإضافة لسائر الوزراء ورجال الدولة. كما أن الباي محمد الصادق زار بنفسه دار الفقيه لتقديم التعازي[3]. وقد شيعت جنازته بالاحتفال اللائق بمقامه وفضائله، ودفن في تربة آبائه الكائنة في جوار جامع صاحب الطابع الوزير أبي المحاسن يوسف، وكان ذلك داخل الحاضرة. وقد خلَّف أبناء "أشرقت في أفقهم شمس النجابة، وانتظموا في سلك خطة الكتابة". وقد رثاه صاحب الخلاصة النقية أبو عبد الله محمد الباجي المسعودي بقوله:

سليل أبي الضياف وصار ضيفا *** إلى دار الكرامة والكرام[4]

أما فيما يتعلق بآثاره، فقد عُدَّ كتاب إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان إنتاج العمر، بالإضافة إلى أن ابن أبي الضياف ترك آثارا قيمة، حيث نشرت وأصبحت في متناول القراء نذكر أهمها:

- **رسالة ابن أبي الضياف في المرأة (1856م)**[5]: من تقديم وتحقيق المنصف الشنوفي في حوليات الجامعة التونسية، العدد الخامس لسنة 1968م، من الصفحة 49 إلى 112[6]، وهي تشمل إجابة العالم على ثلاثة وعشرين سؤالا طرحت من بعض علماء فرنسا، حيث تبين أن خير الدين تلقى هاته الأسئلة من طرف بعض الفرنسيين،وذلك خلال إقامته في باريس، مما جعله يطلب من ابن أبي الضياف الإجابة عنها. وقد كتبت حسب هاته المراسلة بخط يوسف جعيط، حفيد ابن أبي الضياف، وفي الهامش بخط أحمد بن أبي الضياف لإصلاح بعض التحريف.

- **رسائل ابن أبي الضياف إلى خير الدين التي حققت من طرف محمد صالح المزالي**: وكان عددها ثلاثا وعشرين رسالة أثناء إقامة خير الدين في فرنسا (1854/ 1857م)، ورسالتين عندما كان خير الدين يقوم بمهمته بالأستانة (جانفي 1860/ ديسمبر1864م)، حيث أطلق عليها المحقق "تتمة لإتحاف أهل الزمان"،

---

[1] – محمد السنوسي، المصدر السابق، ص 118.

[2] – محمد النيفر، المصدر السابق، ج2، ص 131. ينظر كذلك: حسن حسني عبد الوهاب، كتاب العمر...، مج2، ص 560.

[3] – أحمد بن أبي الضياف المصدر السابق، مج1، ج1، ص ي.

[4] – نفسه، مج1، ج1، ص XIII .

[5] – خير الدين التونسي، المصدر السابق، ص 232. الهامش.

[6] – محمد محفوظ، المرجع السابق، ج3، ص 268.

وذلك لأهمية إثراءاتها للمعارف التاريخية بالرغم من قصر الفترة التي تناولتها. حيث روى ابن أبي الضياف كل مجريات الأحداث لخير الدين أثناء غيابه، وكل ما كان يجري في البلاط، وما طرأ من تغييرات على جهاز الإدارة، فعدت في الحقيقة هاته الرسائل عبارة عن "يوميات تاريخية"، ولعل أهمها إثراءً في المراسلات، هي ما تعلق بوفاة أحمد باي وظروف انتقال السلطة إلى أخيه.

بالإضافة لبعض الأسئلة التي وجهها لمعالجة بعض القضايا المطروحة في عهد الإصلاحات الدستورية تدور حول انتخاب اليهود، وحكم شهادة الكافر عن المسلم، حيث حث فيها على معالجة القضايا اعتمادا على الاجتهاد[1].

- المقامة البشرية في الأنوار البشيرية بالمكتبة الوطنية رقم 4346[2].

بالإضافة لذلك، كان له دواوين شعر لأنه كان شاعرا مطبوعا، ومن شعره مدحه لتونس في شوقه إليها وهو في الأستانة يقول فيه:

نسيم تونس حياني ويحييني *** والطيب منه إذا ما تهت يهديني[3]

إلى جانب ذلك، وجدنا من خلال تصفح كتاب الإتحاف، مجموعة من القصائد كان قد أوردها الكاتب لأغراض متعددة، فهو يستشهد بالشعر إما لتدعيم فكرة أو استخلاص عبرة.

ثانيا: إتحاف أهل الزمان (دراسة الكتاب)

1. التعريف بكتاب إتحاف أهل الزمان:

يعتبر كتاب إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان[4]، كتابا هاما جدا، وذلك لثرائه بالوثائق، واحتوائه على معلومات وأخبار تجعله يتمتع برتبة خاصة. لا يشاركه فيها أي كتاب تاريخي آخر في تلك الفترة[5].

---

[1] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج1، ج1 ، ص ي، ك.

[2] – محمد محفوظ، المرجع السابق، ج3، ص 268.

[3] – محمد النيفر، المصدر السابق، ج2، ص 131. ينظر كذلك : الهادي التيمومي، **تونس والتحديث، (1831/ 1877م) أول دستور في العالم الإسلامي**، دار محمد علي للنشر، تونس، 2010م، ص 190.

[4] – هناك من يسميه "إتحاف أهل الزمان بأخبار عصر عهد الأمان في تاريخ تونس والقيروان". ويطلق عليه كذلك "إتحاف أهل الزمان بأخبار عصر عهد الأمان في تاريخ إفريقية لاسيما لتونس والقيروان". ينظر: إسماعيل باشا بن محمد بن مير سليم، **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص16. ينظر كذلك: اسماعيل باشا البغدادي، المصدر السابق، مج1، ج1، ص 190.

[5] – رشاد الإمام، **سياسة حمودة باشا في تونس 1782– 1814م**، رسالة دكتوراة في الفلسفة، الجامعة الأمريكية، بيروت، ص 34.

وقد كان اختيار ابن أبي الضياف لعنوان مؤلفه "إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان" اختيارا موفقا إلى أبعد الحدود، ذلك أن الكتاب يتمحور موضوعه حول قضية مركزية محددة، ألا وهي إبراز نتائج الحكم الاستبدادي المطلق، القائم على الرغبة الشخصية، ودعوته إلى إرساء نوع من الحكم المقيد بقواعد قانونية أو شرعية، لمنع الملوك من التصرف على هواهم[1] بالإضافة إلى أن ابن أبي الضياف أراد كتابة تاريخ البايات المعاصر لهم، وكان حريصا على تقديم هاته المراحل التاريخية في إطار دراسته التجربة الرائدة، أي عهد الأمان كما ورد ذلك في عنوان الكتاب.

وقد شرع ابن أبي الضياف في تأليف كتابه يوم 18 رجب 1278هـ/ 19 جانفي 1862م،و أنهاه سنة 1872م تاريخ آخر أخبار الإتحاف.

أما فيما يتعلق بالباعث على تأليفه، فقد أشار إليه المؤلف حيث قال: "فحركتني رياح هذا الوطن إلى إطناب، ربما استحسن في مثل هذا الباب، مع أني لست من أولئك الرجال، ولا من فرسان هذا المجال، لاسيما والشيبة ولّت، والقريحة كلّت، والقوى ألقت ما فيها وتخلت، لكن وراء قصوري عين الرضا، وعادات الكرام من الإغضاء"[2].

وقد ألفه بعد ابتعاده التدريجي من البلاط على إثر انتفاضة عام 1864م، وكذا دعم محمد الصادق باي لمصطفى خزندار[3] وتنكره لرجال الإصلاح[4].

والكتاب الذي أنا بصدد دراسته هو عبارة عن أربعة مجلدات، مرتبة حسب تقسيم المؤلف إلى مقدمة وثمانية أبواب وخاتمة[5]. وهو من تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، في الطبعة الثانية، من إصدار الدار العربية للكتاب، تونس، عام 2004م.

وقد قسم المجلد الأول إلى جزأين؛ حيث بدأ في الجزء الأول منه تقديم للدكتور عبد الباقي الهرماسي (وزير الثقافة). ثم يليه "عودة إلى الإتحاف" وتندرج ضمنه عدة عناصر وهي: "من المخطوط إلى الكتاب"، "ابن أبي الضياف من الوزارة إلى التاريخ"، و "أهم مرجع لتاريخ تونس الحديث"، لتليها "العلاقة الجدلية بين التاريخ

---

[1] – علي المحجوبي، **ما يجب أن تعرف عن النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر(لماذا فشلت بمصر وتونس ونجحت باليابان؟)**، سراس للنشر، تونس، 1999م، ص 109.

[2] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج1، ج1، ص أ، ل، 4.

[3] – لقد كانت السياسة على عهده تتميز بسيطرة الباي وانفراده بحكمه المطلق، حيث يفرض إرادته على شعبه مستعملا القوة في ذلك فعُرفت فترته بفرض الضرائب المجحفة على السكان. ينظر : علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 108.

[4] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج1، ج1، ص أ.

[5] – نفسه، مج1، ج1، ص 72.

والإصلاح" بقلم الدكتور خليفة الشاطر (المدير العام لدار الكتب الوطنية)، كما تضمنت "ترجمة ابن أبي الضياف في الرائد التونسي 04 أكتوبر 1874م"، وترجمته بقلم الشيخ محمد السنوسي في مجمع الدواوين التونسية، وبعدها ترجمة لابن أبي الضياف بمخطوط المكتبة العبدلية، مع ذكر لبعض المراجع المذكورة في الطبعة الأولى من الجزء الأول عام 1963م. ويليها التعريف بالكتاب واندرج تحته: "الكتاب ومحتوياته- ووصف المخطوطات المعتمد عليها في هاته الطبعة- وطريقة النشر والتحقيق).

كما عدّد النسخ المخطوطة للإتحاف الموجودة بدار الكتب الوطنية بالإضافة للإشارة للرموز المستعملة في هذه الطبعة، مع إيراده 14 أنموذجا لصفحات من مسودات كتاب إتحاف أهل الزمان، يضاف إلى هذا خطبة الكتاب، حيث أجاز فيها المؤلف أربع قضايا أساسية، وامتدت من الصفحة الأولى إلى الخامسة، وتناول فيها:

- أصالة العمل بالمقاصد ومراعاة المصالح في الشريعة الإسلامية.
- فوائد علم التاريخ.
- عدد بعض مؤرخي تونس[1] الذين اعتنوا بأخبارها وأخبار ملوكها.
- تحديد البنية الهيكلية للكتاب.

وانتقل بعدها لما عُرف بالمقدمة، وهي تشتمل على عقدين، فكان له من العقد الأول مقدمة نظرية، ومن العقد الثاني مقدمة تاريخية لغاية الاعتبار. حيث خصص ابن أبي الضياف عقدها الأول للملك وأصنافه في الوجود (من ص 06 إلى غاية ص 71)، مقسما الملك إلى أصناف ثلاثة هي: الملك المطلق، والملك الجمهوري والملك المقيد بقانون. كما ذيَّل عرضه للعقد الأول بخاتمة في "ذكر شيء مما ورد في العدل والمشورة، وصفة الإمام العادل، وغير ذلك ممن تحسن به محاضرة الملوك" (من ص 72 إلى غاية ص 77).

أما العقد الثاني من المقدمة فقد لخص فيها "الإلمام بأمراء أفريقية وبيوت الملك بالقيروان والمهدية وتونس" (من ص 78 إلى غاية ص 101)، وبعدها "الخبر عن بيت الملك من بني الأغلب" (من ص 102 إلى غاية ص 119)، وتلاها " بالخبر عن بيت الملك بأفريقية من صنهاجة" (من ص 131 إلى غاية ص 145)، وبعدها "الخبر عن تونس ومن تداولها من الأمراء بعد تراجع ملك المعز بن باديس" (من ص 146 إلى غاية ص 151)، فـ"الخبر عن بيت الملك من بني حفص" (من ص 152 إلى غاية ص 191).

[1] – **مؤرخي تونس:** ومنهم ولي الدين بن خلدون، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي، وأبو عبد الله محمد بن أبي الفضل الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي الدينار، والوزير السراج، وغيرهم . ينظر : أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج1، ج1، ص 3.

ويليه الجزء الثاني من المجلد الأول: الذي تناول فيه "الفتح العثماني" (من ص 09 إلى غاية ص 34) وثناه بـ"الخبر عن الدولة المرادية، وابتداء أمرها واستفحاله" (من ص 35 إلى غاية ص 84)، لينتقل بعدها إلى "الخبر عن بيت الملوك الحسينية بالمملكة التونسية" (من ص 85 إلى غاية ص 178).

أما فيما يخص المجلد الثاني فيضم الجزء الثالث والرابع، فالجزء الثالث وهو يضم خمسة أبواب من أصل الثمانية الذين قال فيهم ابن أبي الضياف: "الملوك بعددها لم تدون أخبارهم ولا قيّدت آثارهم"[1]، فكان الباب الأول: "في أخبار الباي أبي حمودة باشا (1782/1814م)"، وامتد الحديث عنه والأحداث الواقعة على عهده (من ص 11 إلى غاية ص 88)، والثاني في "دولة أبي النور عثمان باي (1814/ 1814م) "(من ص 91 إلى غاية ص 101)، وبعده "محمود باشا (1814/ 1824م)" (من ص 105 إلى غاية ص 149)، والباب الرابع خصه للحديث عن "حسين باشا (1824/ 1835م)" وامتد الحديث عن أخباره (من ص 153 إلى غاية ص 193)، والخامس في "دولة الباشا أبي النخبة مصطفى باي (1835/1837م)" وامتدت صفحاته (من ص 197 إلى غاية 228)، وقد تناول فيه العديد من الأحداث منها: الخبر عن الحرب بين الجزائر وتونس وأسبابها، والخبر عن ثورة الترك بحاضرة تونس، ومقتل الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع، وكذا الخبر عن ثورة جند الترك، ومقتل الوزير أبي عبد الله محمد العربي زروق خزندار، وكذلك حرب الفرنسيين للجزائر ومقتل الوزير شاكير صاحب الطابع.

أما الجزء الرابع، وهو يتكون من 268 صفحة، فقد افتتحه بالباب السادس في دولة المشير أبي العباس أحمد باي (1837/ 1855م)، وامتدت صفحاته (من ص 11 إلى غاية ص 182)، وقد تناول فيها: الإكثار من الجند، وإنشاء المدرسة الحربية بباردو، وتأسيس المكتبة الأحمدية، وترتيب التدريس بجامع الزيتونة، وعتق المماليك، والرحلة إلى فرنسا، والإعانة الحربية للدولة العثمانية.

والباب السابع في "دولة المشير الباشا أبي عبد الله محمد باي(1855/1859م)" وامتد الحديث عن أحداث هاته الفترة (من ص 185 إلى غاية ص 228)، ومن أهم ما تناوله فيها: تنظيم المحاكم الشرعية، ومنشور الفلاحة، وقانون عهد الأمان، والتنقيص من العسكر، وقد خص جزءا معتبرا للحديث عن عهد الأمان امتد (من ص 232 إلى غاية ص 268).

أما فيما يتعلق بالمجلد الثالث، والذي يتكون من الجزأين الخامس والسادس، فالجزء الخامس يتكون من 203 صفحة، وقد تضمن الباب الثامن "في دولة المشير أبي عبد الله محمد الصادق باشا باي (1859/

[1] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج1، ج1، ص 4.

1882م)"، حيث تناول فيه (من ص 11 إلى ص 193)، العناصر التالية: أداء اليمين على احترام عهد الأمان، وإنشاء التلغراف[1] بتونس، وإنشاء الطباعة، وصحيفة الرائد التونسي، وتكوين المجالس المنبثقة عن عهد الأمان، واجتماع الباي بنابليون الثالث بالجزائر[2]، وعهد الأمان ومشكلة الامتيازات الأجنبية، وثورة علي بن غذاهم وأسبابها، وإيقاف العمل بعهد الأمان.

أما فيما يتعلق بالجزء السادس، فكان "تتمة للباب الثامن في دولة المشير أبي عبد الله محمد الصادق باشا باي"، وقد تكون من 142 صفحة. ومن أهم ما جاء فيه: سفارة خير الدين لدى الباب العالي، ولمحة تاريخية عن علاقة تونس بالدولة العثمانية، والتنكيل ببعض المشاركين في ثورة ابن غذاهم، والقبض على الثائر علي بن غذاهم وسجنه، وتفاقم عجز الميزان التونسي، وانتصاب الكومسيون المالي[3].

والمجلد الرابع، عبارة عن خاتمة للمؤلف، إلا أنه نحتها من مادة تختلف في جوهرها عما ألفناه من المؤلفات الأخرى؛ ففي العادة نجد الخاتمة إما تلخيصا أو استنتاجا لما جاء في الموضوع، أما عند ابن أبي الضياف فهي عبارة عن تراجم لأعلام، حيث يشمل قسمين: قسم التراجم الأول، والذي يمثل الجزء السابع، ويتكون من 167 صفحة؛ وقسم التراجم الثاني، والذي يمثل الجزء الثامن، ويتكون من 185 صفحة.

وبذلك فقد توزعت تراجمه كالتالي:

- 158 ترجمة للسياسيين والعسكريين والموظفين والإداريين وأشباه الإداريين.
- 144 ترجمة للعلماء من مدرسين وأدباء وأهل الخطط الشرعية.
- 39 ترجمة للأئمة الخطباء.

---

[1] – **التلغراف**: وهو مشتق من كلمتين في اللغة اليونانية هما : تيلي :ومعناه بعيد، غرافن: ومعناه كتب، فيكون معنى تلغراف الكتابة من بعيد، وقد كان ابتداء الانتفاع به في تونس أوائل دولة المشير محمد الصادق باي. محمد بن الخوجة، **صفحات من تاريخ تونس**، تق وتح: حمادي الساحلي، الجيلاني بن الحاج يحي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1986م، ص 158.

[2] – وكان ذلك عام 1277هـ/ 1860م، حيث قام الباي محمد الصادق بزيارته لما أتى إلى الجزائر، وذلك لإحكام علاقة المجاورة بين البلدين، فأحسن الإمبراطور نابليون الثالث استقباله، كما أخبره الباي التونسي بالإصلاحات التي قام بها في تونس، وسلمه نسخة من عهد الأمان. خليل مروم بك، المرجع السابق، ص 272. ينظر كذلك: الطاهر عبدالله، **الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830/ 1956م**، دار المعارف، ط2، سوسة، تونس، ص 21.

[3] – **الكومسيون المالي**: هي عبارة عن لجنة مختلطة، تم تشكيلها نظرا لتأزم الوضعية المالية للبلاد، حيث ترأسها الوزير خير الدين عام 1286هـ . وهدفها هو حماية مالية الدولة من خطر الديون. محمد بن محمد مخلوف، التتمة...، ص 167. للاستزادة ينظر: أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج3، ج6، ص 118- 119.

- 29 ترجمة لمشائخ الطرق ومقدمي الزوايا.
- 26 ترجمة للتجار وأمناء الأسواق وأعضاء المجالس التجارية.
- عدد من الصناع والفلاحين والأثرياء، والعدول المقرئين ومنظف جامع، وعالم موسيقى.
- عدد من التراجم لقياد وأعيان عروش.

وقد عمد المؤلف إلى أن يضع بعد كل جزء من هاته الأجزاء، فهرسا للموضوعات الخاصة بكل جزء منها. وقد تجلت قيمة هذا الكتاب من خلال هاته المعلومات المتقدمة الذكر، حيث ساهمت في إثراء ثقافة النخبة، كما تعمل على المساعدة لتقديم نظرة أكثر شمولية. إذ وضح ذلك ابن أبي الضياف في خطبة كتابه "ضرورة اهتمام المؤرخ بتاريخ الملك والوزير والعالم والكاتب والبطل والكريم والنبيه"[1].

بالإضافة لجلاء قيمته من خلال عدم اقتصاره في ترجمته على طبقة معينة، فلم يقتصر على أعوان الباي والعلماء فحسب، بل ترجم لغيرهم من أمناء الصنائع، ورؤساء القبائل من أبناء البلاد كما يفعل غيره، حيث جاءت ترجمته في مجلده الرابع كفسيفساء اجتماعية شاملة لمختلف مكونات المجتمع[2]. إذ يقول ابن أبي الضياف: "والخاتمة فيما تيسر لي علمه من تراجم بعض الأعيان المتأخرين من العلماء والوزراء والكتاب وغيرهم"[3].

2. منهج ابن أبي الضياف في كتابه :

إن القارئ لكتاب" إتحاف أهل الزمان" يلمس اختلاف أسلوب ابن أبي الضياف مقارنة بمؤرخي البلاط، حيث تجنب أساليب المدح، بالإضافة لمحاولته قدر المستطاع توخي الموضوعية في سرده وتحليله وأحكامه، وفي ذلك قال عنه محمد شمام: "ألف كتابه للتاريخ الحق، فلم يتنازل لتقديمه لأحد من الملوك ابتغاء الحظوة أو الجاه أو حطام الدنيا كما يصنع بعضهم، إذ هذا يتنافى مع منهج الصدق"[4].

بالإضافة إلى كون ابن أبي الضياف من خلال أسلوبه، نلمس اهتمامه بالمفاهيم المؤسسة للفكر الخلدوني للدولة، والعصبية والعمران مثل استشهاده بمقولة ابن خلدون في مقدمته: "فصل في أن الظلم مؤذن بخراب العمران"[5]، واعتماده عليه في العديد من الصفحات. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر (ص 16، 19،

---

[1] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج1، ج1، ص 2- 3.

[2] – أحمد عبد السلام، **مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية**، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، تونس،1986م، ص 165.

[3] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج1، ج1، ص 5.

[4] – نفسه، مج1، ج1، ص أ.

[5] – ابن خلدون، المصدر السابق، ص 286.

46، 68، 102، 103)[1] من المجلد الأول للجزء الأول. كما اعتمد على معايير ابن خلدون لدراسة تاريخ بعض الدول، مثل حديثه عن نهاية وتقهقر الدولة الحفصية والدولة المرادية مع إبقاء حرصه في كتابته على بيان الشرعية للإصلاحات والدفاع عنها، ويبدو ذلك جليا من خلال بعض العبارات مثل: "حين كانت أقرب للقانون الشرعي"، "حين بعدت كل البعد عن خيال قانون الشرع"[2].

إلى جانب هذا، فقد تميز الإتحاف بعفوية أسلوبه ولغته، وفي سرده للأحداث، فقد كان يميل إلى تبسيط لغته، حيث استعمل المصطلحات المتداولة فيها، فعبر عنها بمعناها العامي التونسي، مثل سلم في الشيء، خلاص، مكاحل...، وكذا عبّر عن كلمة "الفساد" بمعنى "الخروج عن الطاعة وعدم الانصياع إلى القوانين، وعبّر بلفظ "النفاق" عن معنى التمرد والعصيان، واستبدل مصطلح "التجنيد" بمصطلح "التنزيل"، وذلك عن قصد منه إذ يقول ذلك في خطبة كتابه: "ملتزما بقدر الطاعة توضيح العبارة وتقريبها للإفهام بحسب اصطلاح التخاطب والأسماء والألقاب الجارية في عرف البلد"[3].

وقد عمد ابن أبي الضياف للاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والأبيات الشعرية للتدليل على صحة أقواله في بعض الأحيان. ففي أغلب المرات يورد استشهاده في المكان المناسب، ومثال ذلك عند حديثه عن الحكم المطلق ومعارضة الشرع له، كونه تصرف بالهوى في عباد الله وبلاده، فاستشهد ابن أبي الضياف في هذا المقام بقوله تعالى: "يَا دَاودَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ"[4].

وعمد أيضا للاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة، وذلك ملاحظ بكثرة في كتاب الإتحاف، ومثال ذلك في حديثه عن سياسة حمودة باشا في الجباية، استشهد بقوله صلى الله عليه وسلم: "انظر إلى من دونك ولا تنظر إلى من فوقك"، بالإضافة لكثرة الأبيات الشعرية بين طيات صفحات المجلدات الأربعة. وقد نجح ابن أبي الضياف في تسلسله لسرده للأحداث في أبوابه الثمانية، حيث عمد إلى التعريف بشخصية الملك، وبعدها سرد الأحداث التي وقعت على عهده ليختمها بخصاله وأخلاقه ووفاته، وسار على هذا المنوال في كل الأبواب.

كما وُفِّق ابن أبي الضياف في جزئه الذي ترجم فيه لشخصيات من فئات مختلفة، بدءً بالملوك وانتهاء بالنبهاء، حيث اتبع نظاما معينا يشبه هيكل القصة القصيرة لكل ترجمة من تراجمه، فيفتتحها بتمهيد يعرف فيه بأصل الشخصية وذكر نشأتها، ويثنيها بذكر عمل الشخصية وأخلاقها، ويختمها باستمرارية النقاوة الأخلاقية ثم

[1] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج1، ج1، ص 16، 19، 46، 68، 102، 103.

[2] – نفسه، مج1، ج2، ص 79.

[3] – نفسه، مج1، ج1، ص 15.

[4] – سورة (ص) الآية 26.

الوفاة، بالإضافة لكونه اتبع في ترتيب تراجمه أسلوبا خطيا زمنيا تصاعديا، فكانت أول شخصية أحمد البرانسي المتوفّ عام 1782م[1]، وآخر شخصية هو حسن الشريف المتوفّ عام 1872م[2].

كما انتهج طريقة شرح بعض المصطلحات التي رآها صعبة في الهامش مثل ارتمض، المكافحة[3]، مزوار[4] وتعريفه ببعض الشخصيات كصاحب الابتهاج أحمد بابا[5]، والأمير آلي كالي قارس[6]، والأماكن مثل المحمدية[7].

كما لاحظنا غلبة المصطلحات الاقتصادية على كتابة الإتحاف، وهذا راجع لنظرية ابن أبي الضياف على قوة العلاقات وكثافتها وتنوعها بين الظاهرة الاقتصادية والهياكل الاجتماعية والسياسية، وتجلى ذلك في بعض المصطلحات مثل: الجند، والعسكر، والبدو، والحضر وكبار رجال الدولة وتعلقها بالناحية الاقتصادية في نظره بأموال الإنتاج والعمل وظروف المعاش[8].

إلا أنه، وبالرغم من اضطلاعه بهاته المهمة الصعبة والدقيقة التي أداها بلباقة ونزاهة، إلا أنه عمد في بعض الأحيان على اختصار بعض الأحداث التاريخية، وإهمال بعض الوقائع أو ذكرها باقتضاب، في حين أنها تستحق ذكرا أكثر مما جاءت عليه، وذلك لما كان لها من انعكاس على مجرى الأحداث اللاحقة[9].

3. مصادر كتاب ابن أبي الضياف:

لقد تنوعت مصادر الإتحاف وذلك من فترة لأخرى، حيث جاء الإتحاف بأحداث تاريخية امتدت من الفتح الإسلامي إلى عهد الصادق باي، ومن أهم مصادره:

---

[1] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج4، ج7، ص 13.

[2] – نفسه، مج4، ج8، ص 179.

[3] – نفسه، مج2، ج4، ص 19.

[4] – نفسه، مج2، ج3، ص 207.

[5] – نفسه، مج2، ج4، ص 88.

[6] – نفسه، مج2، ج4، ص 36.

[7] – نفسه، مج2، ج4، ص 70.

[8] – أحمد جدي، **محنة النهضة ولغز التاريخ في الفكر العربي الحديث والمعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2005م، ص 62.

[9] – الصادق الزمرلي، المرجع السابق، ص 76.

في العهد الوسيط: اعتمد ابن أبي الضياف للتعريف بهذا العهد على أهم مؤرخي كتب هاته الفترة ومنهم: تقي الدين المقريزي[1]، والزركشي[2]، والقاضي عياض[3] وابن خلدون[4]. كما استخدم شجرة النور الزكية لمحمد بن محمد محمد مخلوف، وذلك في تعريفه بتاريخ وفاة الشيخ الصالح المعروف بالصقلي، وكذا في تعريفه للشيخ الرعيني[5]، وكذا وكذا ابن فرحون في الديباج والقاضي ابن خلكان في وفيات الأعيان، وذلك في إشارة منه لتناولهما تعريف الإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري[6]، بالإضافة لاستناده في ذكر تاريخ وفاة الشيخ قويسم إلى كتاب عنوان الأريب[7]، وكذا البيان المغرب لابن عذارى في تعريفه لمحمد بن عبيد الله المهدي[8]، بالإضافة لخلاصة لخلاصة تاريخ تونس لحسن حسني عبد الوهاب في شرحه لطنبذة[9].

---

[1] – تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، ج1، تح: محمد زينهم، مديحة الشرقاوي ، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، مصر، 1998م، ص 125، 129.

[2] – أبو عبد الله محمد بن ابراهيم المعروف بالزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح وتع: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، ط2، تونس، 1966م، ص 129.

[3] – القاضي عياض، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ج1، تح : أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص 259، 326.

[4] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج1، ج1، ص م.

[5] – محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور...، ص 116، 436.

[6] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج1، ج1، ص 145. ينظر كذلك: برهان الدين ابراهيم بن فرحون، **كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص135 . أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، مج3، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 466.

[7] – محمد النيفر، المصدر السابق، ج2، ص 7.

[8] – ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح ومر: ج.س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، لبنان، 1983م، ص 268.

[9] – **طنبذة**: وهي المحمدية حاليا. ينظر: أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج1، ج1، ص 106.

أما فيما يخص بداية التاريخ الحديث، فقد اعتمد على الكتاب الباشي لحمودة عبد العزيز في جزئه الثاني، وذيل بشائر أهل الإيمان لفتوحات آل عثمان لحسن خوجة[1]، والمؤنس لأخبار إفريقية وتونس لابن أبي الدينار في جزئه الأول[2]، والحلل السندسية للوزير سراج في جزئه الأول والقسم الثاني من الجزء الثاني[3].

بالإضافة لذكره مصادر تلاشت أو بقيت غير معروفة، وبالرغم من أهمية هذا القسم التأليفي الذي اعتمد فيه على أمهات كتب تاريخ تونس، إلا أنه أُعتبر بابا تمهيديا لتأريخ المؤلف، ابتداء من عهد حمودة باشا، حيث انطلق المؤرخ من شهود عيان حضروا للوقائع منهم[4]:

- **الحاج بالضياف**[5]: وهو والد المؤلف الذي كان يروي له بعض الأحداث، وهذا بحكم تنقله في الوظائف، حيث كان مع الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع، وبعدها ترقى ليصبح رئيسا للكتبة في بيت خزندار، وسفره مع الوزير إلى إسلامبول مع اختياره من طرف الباي أبي عبد الله حسين باشا واستكتابه على يد الوزير أبي عبد الله حسين خوجة، وبعده الوزير أبو محمد شاكير صاحب الطابع[6]. ونجد إشارات لرواية الأحداث له من طرف أبيه من خلال قوله "وسمعت ذلك من والدي"، وذلك في إخباره بأحداث الخلاف بين الجزائر وتونس[7]، وكذا في سرده للاجتماع الذي عقد لتسليم الباي عثمان الولاية لابنه، فيقول ابن أبي الضياف عن والده : "وحكى ذلك لكاتبه وصاحب سره الحاج بالضياف"[8]، وكذا تداوله لعبارة " وسمعت من والدي"[9]، بالإضافة لأخذه عن شهود العيان والحاضرين للأحداث مثلا: سليمان كاهية، وذلك لكونه كان ناشئا في خدمة الوزير أبي محمد حمودة باشا، ولازمه ملازمة الظل، مع تدرجه في الخدمة حتى صار آغا وحق باجه، وكذا كان كاهية سفر المحال، بالإضافة لكونه صهرا للباشا أبي الثناء محمود باي. كما كان لا ينعقد اجتماع دونه، ويستشار في المهمات[10]. وقد أخذ عنه ابن أبي الضياف الذي يقول أنه حدثه عن الحرب بين الجزائر وتونس، حيث كان

---

[1] – أحمد بن أبي الضياف ، المصدر السابق، مج1، ج1، ص م.

[2] – أبو عبد الله الشيخ محمد أبو القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي الدينار، **كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، الدار التونسية، ط1، 1286هـ، ص 216- 220. ينظر كذلك: أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج1، ج1، ص م.

[3] – أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1287هـ، ص 309- 315. ينظر كذلك: أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج1، ج1، ص م.

[4] – نفسه، مج1، ج1، ص م.

[5] – نفسه، مج4، ج8، ص 37- 38.

[6] – نفسه، مج4، ج8، ص 37- 38.

[7] – نفسه، مج2، ج3، ص 41.

[8] – نفسه، مج2، ج3، ص 96.

[9] – نفسه، مج2، ج3، ص 31.

[10] – نفسه، مج4، ج8، ص 39.

حاضر الموطن بقوله: "سمعت ذلك من والدي، ومن الوزير أبي الربيع سليمان كاهية الثاني"[1]، بالإضافة لسماعه منه ومن إسماعيل التميمي أحداث ثورة جند الترك على الباي محمود باشا، فيقول في ذلك: " سمعت ذلك من الوزير سليمان كاهية وغيره ممن حضر الموطن، وسمعته أيضا من شيخنا أبي الفداء إسماعيل التميمي"[2].

وقد أشار إلى سماعه عن الشيخ إبراهيم الرياحي قصة جامع صاحب الطابع أبي المحاسن يوسف.[3] وكذلك قوله: "وسمعت من شيخنا عالم العصر وبركة المصر أبي إسحاق إبراهيم الرياحي أن أول ضرر عام وقع في الإسلام غلث السكة"[4].

أما مصدره الثالث فتمثل في كونه أصبح شاهد عيان بنفسه، وذلك منذ عهد الباي حسين، لكونه ترقى في المناصب، إذ منحه رئاسة ديوان الإنشاء عام 1242هـ / 1827م[5]، وبالتالي أصبح يشاركه في أهم المداولات وكتابة الرسائل، وروى لنا قضية احتلال الجزائر من شهود عيان، فيقول في ذلك: "وقد سمعت مضمونها ممن باشر الترجمة في النازلة بين الداي والقنصل وغير واحد من أهلها"[6]. كما أنه كان هو من حرر مناشير الباي حسين إلى سكان قسنطينة في طلبه المتمثل في انضمامهم إليهم وترك القتال، فيقول ابن أبي الضياف في نهاية المنشور:" وكان من إنشاء العبد الفقير"[7].

كما أنه، توجد عبارات دالة على تواجده في مكان الحدث مثلا: ركبنا- سافرنا- أرسينا- وجدنا[8].

وعلى عهد مصطفى باي، استمر في تقربه واطلاعاته، حيث استفتاه الباي في الفرقة وحكمها، ويقول في ذلك ابن أبي الضياف: "واستنطقني بذكر الوعيد"[9].

كما كان يستند على الوثائق وذلك من خلال روايته للأحداث، اعتمادا على الوثائق التي يحررها هو بنفسه، أو تقديمه للمراسلات الخاصة التي حضرها، فمثلا كتابته للنص الذي أرسل للدولة العثمانية لعدم دفع المعونة السنوية لأوضاعها المتردية[10]، بالإضافة لوصفه لرحلته إلى باريس التي صحبه فيها أحمد باشا باي عام

---

[1] - أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 41.

[2] - نفسه ، مج2، ج3، ص 120.

[3] - نفسه، مج2، ج3، ص 124.

[4] - نفسه، مج2، ج3، ص 156.

[5] - محمد محفوظ، المرجع السابق، ج3، ص 264.

[6] - أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 164.

[7] - نفسه، مج2، ج3، ص 175.

[8] - نفسه، مج2، ج3، ص 178.

[9] - نفسه، مج2، ج3، ص 204.

[10] - نفسه، مج2، ج4، ص 19، 21.

1846م وقوله: "ولو تتبعنا الرحلة لكانت كتابا مستقلا"[1]، ضف إلى ذلك مشاركته في تحرير شرح قواعد عهد الأمان الذي نقله لنا، ويقول في ذلك: "وأمرني بإنشاء مكتوب عهد الأمان"[2].

[1] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج4، ص 99.

[2] – نفسه، مج2، ج4، ص 240.

الفصل الثاني: العلاقات السياسية والعسكرية من خلال إتحاف أهل الزمان

أولا: العلاقات السياسية

1. العلاقات السياسية قبل احتلال الجزائر
2. الحدود والوكلاء
3. موقف بايات تونس من الاحتلال الفرنسي للجزائر
4. علاقة المقاومات الجزائرية بنظام الحكم في تونس
5. ثورة علي بن غذاهم عام 1864م ونتائجها

ثانيا: العلاقات العسكرية

1. محلة تونس نحو قسنطينة 1221هـ/ 1807م
2. موقعة سلاطة 1222هـ/ 1807م
3. محاولة الجزائريين حرب تونس 1223هـ/ 1808م
4. حملة بحرية جزائرية 1226هـ/ 1811م
5. حملة حلق الوادي نحو الجزائر 1236هـ/ 1821م

الفصل الثاني: العلاقات السياسية والعسكرية من خلال إتحاف أهل الزمان

أولا: العلاقات السياسية

1. العلاقات السياسية قبل عام 1830م:

لقد عرفت العلاقات الجزائرية التونسية توترا ملحوظا، حيث أن، أبا الحسن علي باشا بن محمد باشا بن أحمد باشا قرمانلي صاحب طرابلس قدم على تونس مشردا من بلاده في ذي الحجة 1207هـ/ جويلية- أوت 1793م، وذلك كون علي برغل استولى على طرابلس، وبالرغم من إكرام حمودة باشا لصاحب طرابلس، إلا أنه رفض في البداية إرسال جيش لإخماد نيران الفتنة، وذلك لكون تفكيره كان منصبا على محاربة الجزائر، ويتضح ذلك من خلال ما جاء في الإتحاف: " لأن همه إذ ذاك الجزائر"[1].

كما تأثرت العلاقات الجزائرية التونسية بعلاقات تونس بطرابلس، وتجلى ذلك من خلال تقرب الجزائر من حكام طرابلس، في وقت كانت فيه تونس في حروب ضدها[2]،وذلك عندما استولى علي برغل على جربة عام 1794م بعد تمكنه من السيطرة على طرابلس[3].

و كان أمير الأسطول التونسي الذي بعثه إلى جربة آنذاك هو الحاج علي الجزيري[4] الذي تمكن من إعادتها في جمادى الأولى عام 1209هـ/ 02 ديسمبر سنة 1794م[5]، وذلك بفضل المحلات التي بعثها معه حمودة باشا بهدف التمكن من إخضاعها، وإعادة آل قرمانلي إليها[6]، حيث فرّ علي برغل إلى أرض الحجاز بعد هزيمته أين مات بها[7].

---

[1] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 21- 22.

[2] – احميدة عميراوي، **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ص 63.

[3] – شوقي الجمل، **المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى(مراكش))**، المكتب المصري، القاهرة، 2003م، ص 110.

[4] – **علي الجزيري**: أصله من أبناء جند الجزائر. ولد بتونس، ونشأ في خدمة الباي حسين بن علي، وله اسم معروف بالجزائر. وكانت وفاته عام 1215هـ/ 1800م. ينظر: أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج4، ج7، ص 37.

[5] – نفسه، مج2، ج3، ص 27.

[6] – عبد الجليل التميمي، **الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني**، علي الزواوي: "الوافدون على مدينة صفاقس خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أصولهم وتوزيعهم داخل المدينة وعلاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية"، ص 369.

[7] – أحمد ابن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 23.

وبالرغم من توتر العلاقات بين البلدين، إلا أن حاكم تونس تلقى وعودا من حاكم الجزائر بأن يقدموا له المساعدة في حروبه ضد طرابلس، إلا أن حمودة باشا كان لا يرتاح إليه، لاعتقاده أنه متحالف مع والي طرابلس[1].

كما أن حمودة باشا، نتيجة تأزم العلاقات من الناحية السياسية بين البلدين، أقدم على ابن الأحرش[2] وأحسن استقباله وأكرم وفادته حين نزل عنده، وذلك استغلالا لطموحه وشجاعته، حيث حرضه على الثورة ضد الحكم العثماني القائم بالجزائر، ووعده بأن يمده بالمال والرجال[3]، إذ أن حمودة باشا وجد من ابن الأحرش وسيلة لخلق صعوبات لحكومة الجزائر التي كان يناصبها العداء[4].

ويقول في ذلك المدني: "حمودة باشا كانت له دسيسة في خاطره على ملوك الجزائر، فاستدعى في أحد الأيام ابن الأحرش ووسوس له قائلا(...) يجب أن تذهب إلى ملك الترك (الجزائر) وتنزعه (...) ونحن نمدك بما يخصك"[5].

كما تمكن حمودة باشا من كسب أنصار له في قطاع الشرق الجزائري، نذكر على سبيل المثال: أحمد شاوش الذي تحالف مع باي تونس، وأمده بالأموال محرضا إياه على التمرد وقلب النظام، وقد تمكن من إثارة السكان والأجناد وقتل باي قسنطينة علي باي (1807- 1808م)[6].

كما أنه ومما يثبت توتر العلاقات السياسية بين البلدين في هاته الفترة، أن حمودة باشا أحسن استقبال وإكرام الحاج مصطفى أنقليز باي قسنطينة[7] وابنه علي عندما لجأ إليه "طريدا بعد عزله"، فمنحه بستانا بمنوبة، واعدا إياه بإعادته لمنصبه، وهذا ما أغاظ صاحب الجزائر[8]، حيث كانت ردة فعل الأخير على أعمال حمودة باشا

---

[1] – احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 64.

[2] – **ابن الأحرش:** هو رجل مغربي يدعي أنه من شرفاء ملوك فاس، اشتهر بالشجاعة في خوضه للمعارك. وكانت وفاته عام 1807م. ينظر: محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية، الجزائر، ص 28، 30.

[3] – الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري، **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، ج1، عني به: داوود بخاري، رابح قادري، دار الوعي، ط1، الجزائر، 1434هـ/ 2012م، ص 139. وللاستزادة في أحداث هذا التمرد ينظر: صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514– 1830م**، دار هومة، ط2، الجزائر، 2007م، ص 194- 201؛ ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)**، دار البصائر، ط2، الجزائر، 2009م، ص 263- 295؛ محفوظ سماتي، **الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها**، تر: محمد الصغير بناني، عبد العزيز بوشعيب، منشورات دحلب، الجزائر، 2007م، ص 95.

[4] – ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص 285.

[5] – أحمد توفيق المدني، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1168– 1246هـ/ 1754– 1830م**، الشركة الوطنية، الجزائر،1974م، ص 85.

[6] – أحميدة عميراوي، المرجع نفسه، ص 45- 46؛ محمد العربي الزبيري، المرجع نفسه، ص 31.

[7] – حنيفي هلايلي، **أوراق في تاريخ الجزائر على العهد العثماني**، دار الهدى، ط1، الجزائر، 1429هـ/ 2008م، ص 50.

[8] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 40.

باشا أن عمد لإرسال عدد من البقر يطلب بيعه في تونس بأسعار حددها الداي بصيغة الإمرة على غير ما كان يعتمد عليه في أسلوب خطابه من اللطف والمحبة، هذا ما جعل حمودة باشا يغتاظ منه وجمع رجال دولته لمشاورتهم في هذا الأمر[1]، حيث قال وزيره رئيس الكتبة أبو عبد الله محمد الأصرم: "نساعد أحوالنا ولا نقطع سياستنا فإنها أحسن من حرب". أما الوزير صاحب الطابع، فقد قال: "عظُم الأمر واتسع الخرق، والمساعدة هي (التي) أوصلتنا لهذه الدرجة من المعرّة، فإن سيدنا سمسار لصاحب الجزائر(...)"[2]. وتم الاتفاق على أمرين أولهما هو إرجاع الحاج مصطفى أنقليز لمحل ولايته بقسنطينة، وثانيهما بيع البقر الجزائري في السوق بشهادة عدلين، مع عدم منع أي شخص من بيع البقر خلال تلك الفترة[3]. وقد كتب الباي لصاحب الجزائر فيما معناه أنه تم بيع البقر بحضور عدلين نتج عنه الثمن الموجود ومنحناه لرسولكم. أما في حال ما إذا أرادت الجزائر بيع شيء فلتوجه خطابها في ذلك لوكيلها مثلها مثل عامة البلدان دون فرق، معتبرا أن فعل تونس سابقا كان مجرد ثمرة محبة، وليس واجبا كما اعتبره الجزائريون، فتونس لا تسلم بهذا الوجوب.

وبعد موت مصطفى أنقليز، أسف الباي حمودة باشا عليه كونه لم يوف له بما وعده به من إعادته لقسنطينة، وأمر الباي رجال دولته بشهود جنازته، وكان ذلك في ربيع الثاني 1228هـ/ أفريل 1813م[4].

كما أن مشكلة العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس تعد من أهم العقبات التي واجهها حمودة باشا خلال فترة حكمه[5]، هذا ما جعله يعمد إلى قطع النذر بعد وفاة والده والمتمثل في إرساله لكميات من الزيت لمقامات الصالحين بالجزائر[6]. ويقول في هذا الشأن المدني: "وقد كان ملوك تونس، يبعثون مركبا محملا بالزيت وبعض الهدايا الهدايا الرفيعة كل سنة فقطعوها في قيامه"[7]. حيث كانت السفينة، بالإضافة لحمولتها من الزيت، تحتوي على رحيق الورود والشاشيات والملابس الحريرية[8]. وبمجرد أن ورد نبأ قطع الهدايا على الجزائر، اغتاظ الداي أحمد باشا (1805- 1808م) غيظا شديدا معتبرا هذا السلوك نوعا من القطيعة وخروجا عن الطاعة[9]. وطالب صاحب الجزائر بها لكنه امتنع، هذا ما جعله يرفع شكايته للدولة العثمانية، وجاء فيها أن صاحب تونس –يقصد به الباي علي والد حمودة باشا– كان يبعث مقدارا من الزيت بهدف إعانة عسكر المسلمين بالجزائر، لكن حمودة باشا

[1] – رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 424.

[2] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 40.

[3] – رشاد الإمام، المرجع نفسه، ص 424.

[4] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 41، 59.

[5] – حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 48.

[6] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 76.

[7] – أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 96.

[8] – صالح عباد، المرجع السابق، ص 208.

[9] – حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، الجزائر، 2007م، ص 166.

امتنع عن ذلك، فما كان من السلطان العثماني إلا أن بعث برسول ومعه مكتوب، تضمن تحريصه على وصل الأخوة الإسلامية[1]، فقال للرسول: أن أهل المملكة هم الذين رفضوا وجمعهم ليسمع الرسول جوابهم، حيث قال لهم بحضرته: "(...) لا بأس بإعانة إخواننا المسلمين بشيء من الزيت، وهو لا يضرنا، لا سيما وقد ندبنا مولانا السلطان لذلك وهذا رسوله"، وقد أجابه أبو الحسن علي بلهوان، وهو من أعيان الجند بقوله: "لا يقع ذلك أبدا، وإن كان لك زيت يخصك، فافعل به ما شئت، أما هذا الزيت فهو للبلاد، ولا نظر لك فيه إلا بالمصلحة، وأي مصلحة في إخراج شيء من بلادنا لقوم يرونه ضريبة علينا، والسلطان أولى منا بإعانة المسلمين".

وبالرغم من إعادة كلامه عليهم مرارا، إلا أن جوابهم كان بالامتناع، هذا ما جعل من الرسول يطلب منه الكتابة للدولة العثمانية برفضهم، وهو من جانبه يبلغ ما حصل بحضوره من الرعية للباب العالي[2].

- **اتفاقيات الصلح بين الجزائر وتونس:**

عرفت العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس نوعا من التحسن، وتجلى ذلك من خلال امتناع حمودة باشا من دخول حلف مع بريطانيا والبرتغال ضد فرنسا سنة 1793م إلا إذا وافق داي الجزائر على ذلك، مع انضمامه للحلف هو أيضا. بالإضافة لتكرر هاته السياسة عندما ساهمت الجزائر في التأثير على تونس في موافقتها على اتفاقيات مع فرنسا فيما يخص اعترافها بالعلم المثلث الألوان عام 1794م[3].

كما عقدت العديد من اتفاقيات الصلح بين الجزائر وتونس، منها: عقد أحمد باشا اتفاقية هدنة مع حمودة باشا بين البلدين[4]، بالإضافة لتدخل الدولة العثمانية في عدة مناسبات لحل النزاع بين الجزائر وتونس. ومما يوضح ذلك الرسالة التي بعث بها الداي عمر (1815- 1817م) عام 1815م للسلطان العثماني محمود الثاني (1808- 1839م)، ومما جاء فيها: "(...) قد صدر فرمان(...) قبل أربع سنوات بخصوص التصالح مع التونسيين(...) إلا أن الذين كانوا يتولون الحكم آنذاك، لم يضعوا الفرمان موضع التنفيذ(...) وبعد اطلاعي عليه، قمت فورا بالامتثال لمضمونه(...) وحررت رسالة إلى التونسيين أذكرهم فيها بالوحدة(...)"[5]، بالإضافة لإبرام الصلح بين الطرفين وذلك بوساطة الباب العالي، وكان ذلك سنة 1817م[6]، حيث تمكنت من وضع حد

---

[1] – رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 415.

[2] – أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 76.

[3] – رشاد الإمام، المرجع نفسه، ص 418.

[4] – أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766– 1791م (سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 57.

[5] – أرزقي شويتام، **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800– 1830م**، دار الكتاب العربي، ط1، 2011م، ص 40.

[6] – ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، **الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 43.

للمشاكل والصدمات العسكرية من جهة، وتخلي الطرف الجزائري عن المطالبة بالأتاوات المعتادة من جهة أخرى، والمتمثلة في إرسال تونس للجزائر كل سنة 250 جرة زيت، وعشرين جرة من الصابون، وهدايا أخرى مختلفة[1].

وقد أشار ابن أبي الضياف لوساطة الدولة العلية العثمانية في عقد صلح بين الجزائر وتونس، حيث وجهت رسولا لذلك، وانعقد الاجتماع يوم الثلاثاء منتصف جمادى الثانية 1236هـ/ 20 مارس 1821م، واتفقا فيه على رد جميع ما أخذ للتونسيين[2]، هذا بالتزام الوصيين اللذين أرسلا إلى اسطنبول بطلب من السلطان على تنفيذ الاتفاق الذي ينص على احترام سيادة الدولتين الترابية مع إطفاء نار الحرب بينهما[3]، وقد قال الأدباء في هذا الاتفاق بالصلح: " لم يلف في الحسن تاريخ كتاريخه"[4].

2. الحدود والوكلاء:

تلتقي مختلف الدراسات القانونية والسياسية الحديثة للتأكيد على أهمية الحدود كشرط أساسي في قيام الدولة بمعناها الحديث، حيث أن الدولة تستمد صلاحيتها على المجال الترابي من القيمة المؤسساتية للحدود التي ترسم الإطار الخارجي لسيادة الدولة، كما تلغي كل أشكال التداخل مع كيانات سياسية أخرى[5].

وبهذا، فقد كانت قضية الحدود من أهم العوامل التي أثرت في العلاقات الرسمية والشعبية بين البلدين، سواء خلال الحكم العثماني أو خلال الفترة الاستعمارية[6].

ومما يثبت الاهتمام بالحدود بين البلدين، هو طلب صالح باي (1771- 1792م) من حمودة باشا سنتي 1873م و 1787م بتقديم تعويضات ملائمة عن الخسائر التي تسببت فيها تونس عند ملاحقتها لقبائل تونسية استقرت بجنوب تبسة هربا من تعسف علي باي تونس[7]، كما تعكرت العلاقات السياسية بين البلدين بسبب مسألة الحدود وذلك كون باي قسنطينة ادعى بصورة مفاجأة وعلانية حقه في ملكية منطقة بلاد الجريد التونسية، وكان ذلك بتوجيهه رسالة رسمية في هذا الموضوع لحمودة باشا[8].

---

[1] – حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 52. وكذا الهامش.

[2] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 134.

[3] – علي خلاصي، **قصبة مدينة الجزائر**، ج1، دار الحضارة، ط1، الجزائر، 2007 م ، ص 24.

[4] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 134.

[5] – فاطمة بن سليمان، **الأرض والهوية (نشوء الدولة الترابية في تونس 1574– 1881)**، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، تونس، 2009م، ص 79.

[6] – احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 17.

[7] – ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية...، ص 244.

[8] – رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 422- 423.

كما طرحت مشكلة انتماء نهد[1] السياسي لأول مرة بشكل جانبي في العشرينيات من القرن التاسع عشر، لما راسل سليمان كاهية حلق الوادي سنة 1821م القنصل الفرنسي بتونس وممَّا جاء في مراسلته: "ولنا (أي لإيالة تونس) رعية ساكنة هناك يقال لهم نهد يعلم هذا جميع أهل البر والبحر"[2]. وقد قرر الفرنسيون بعد احتلال الجزائر الجزائر أخذها إلا أن باي تونس راسلهم وشدد في إعادتها ولكنه عندما رأى شدة قنصل الفرنسيين كاتبه بما نصه: "(...) إن هؤلاء نهد لم تنلهم رعاية الجزائر سابقا، ولا وقع من دولة الترك بالجزائر كلام مع تونس في شأنهم مع ما كان يمكن إبدالها بجزء من غيرها أو تجديد التحديد إلا بأوامر ومشورة الدولة العلية"[3].

بالإضافة لما يثبت أهمية الحدود في ربط أواصل العلاقات السياسية بين الطرفين أو تعكرها هو توقيع صلح على عهد محمود باي تضمن رسم الحدود على نحو نهائي بين الإيالتين اللتين عاشتا في نزاع مستمر منذ مطلع القرن 19م[4]، حيث تدخلت الدولة العثمانية في عقد هذا الصلح آملة في صفاء الجو بين الإيالتين، بحكم أن الحدود كانت مؤشرا في تحديد طبيعة العلاقات إما أخوية أو عدائية، إلا أنها وبمجرد احتلال الجزائر عملت فرنسا على إثارة مسألة الحدود لتوسيع الفرقة بين الطرفين[5].

كما أنه، ومن مظاهر العلاقات الرسمية بين البلدين، التمثيل الدبلوماسي، إذ كان لولاية الجزائر وكلاء في تونس[6]، وتجلى ذلك من خلال ذكر ابن أبي الضياف "للحاج محمد البرادعي وكيل الجزائر بتونس" على عهد حمودة باشا الذي تمكن من استمالته إلى صفه لكون النظام التونسي يعتمد على الجوسسة، ولم يكن له وكلاء في الجزائر، حيث أسس حمودة باشا في سانية المرناقية مركزا للتجسس على الجزائر[7]، ويقول في ذلك صاحب الخلاصة الخلاصة النقية: " وأعلن بما كان يخفيه من حرب الجزيريين لما عيل صبره في مداراتهم وأحيا سانية المرناقية للتطلع على أحوال رسلهم واستكشاف سرائر جواسيسهم"[8]، كما أهدى لأحد وكلاء تونس جارية حسناء تبينت فيما بعد أنها مجرد جاسوسة لحمودة باشا تعمل على اختلاس المراسلات بين حكومة الجزائر ووكيلها في تونس[9]. أما فيما يتعلق بالبرادعي، فقد كانت له علاقة مواطأة مع باي تونس حمودة باشا في قتل حسن باي بن إسماعيل بن

---

[1] – **نهد:** هي قبيلة من أهل جبل باجة، وتنقسم إلى فخذين أحدهما تابع للجزائر والآخر لتونس. ينظر: أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج4، ص 16.

[2] – فاطمة بن سليمان، المرجع السابق، ص 276.

[3] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج4، ص 16- 17.

[4] – سيار الجميل، **تكوين العرب الحديث**، دار الشروق، عمان، الأردن، 1997م، ص 291.

[5] – محمد العربي الزبيري، **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1975م، ص 64- 65.

[6] – أحمد ابن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 34.

[7] – رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 413- 414.

[8] – أبي عبد الله الشيخ محمد الباجي المسعودي، **الخلاصة النقية في أمراء أفريقية**، مطبعة بيكار وشركائه، ط2، تونس، 1323هـ، ص 136.

[9] – رشاد الإمام، المرجع نفسه، ص 413- 414.

يونس باي، ولما علم داي الجزائر بمواطأته، بعث في طلبه للقدوم إلى الجزائر فالتجأ لمقام الولي سيدي أبي سعيد الباجي رضي الله عنه، ورغم طلب صاحب الجزائر من حمودة باشا إرساله إليه، إلا أنه أجابه بتعذر الأمر عليه فما كان على داي الجزائر إلا أن بعث له من قتله في تونس[1].

ومما يؤكد أيضا على اعتماد الجزائر على وكلاء لها في تونس، أن حسين باشا (1818- 1830م) بعث إلى الحاج أحمد باي يطلب منه اختيار رجل كبير وعاقل لتعيينه كوكيل، حيث اختار حاج عمار بن زقوطة[2] وبعثه إلى حسين باشا، وبعد أن تحدث معه واستخبره، أعجب به وتجلى له أنه يليق بوظيفة الوكالة في تونس[3].

كما وتجلى الوكلاء أيضا من خلال ما جاء في رسالة بعث بها حسين باشا الجزائر إلى محمود باشا تونس يعلمه فيها بإعلان الحرب بين الجزائر وأنجلترا مع طلبه بإيفادهم بأخبارها عن طريق وكيلهم قائلا: "ثم المراد منكم والمؤكد به منا على حضرتكم أن كل ما يطرق مسامعكم من أمورهم وأحوالهم وحركاتهم وسكونهم(...) فاعلموا بجميعها وكيلنا السيد محمود بن أمين السكة(...)"[4].

وقد أشار صاحب الإتحاف إلى وجود جواسيس في حاضرة تونس من الجزائريين عندما تحدث عن تولية ابن أبي النور عثمان باي محل والده عثمان باي وهو مريض، فقال الوزير يوسف صاحب الطابع: "(...) وجواسيس الجزائر بالحاضرة"[5].

3. موقف بايات تونس من الحملة الفرنسية على الجزائر:

لقد اعتبر ابن أبي الضياف أن سبب الحملة الفرنسية على الجزائر تعود إلى قضية الديون المترتبة عن بوبكري وبوجناح، وذلك للعلاقة التي كانت تجمعهم مع تجار من فرنسا، فبقيت بعض من أموالهم عندهم، هذا ما دفع بداي الجزائر للتدخل في أمر رعيته، واتفق الطرفان على الصلح الذي نتج عنه منح بوبكري المال من تجار فرنسا[6]، فرنسا[6]، إلا أن تجار آخرين اتهموا بوبكري ادعاءً بالدين عليه وبالتالي تعطَّل الصلح فكلَّم الداي القنصل في هذا

---

[1] – أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 34.

[2] – **حاج عمار بن زقوطة**: وقد بعثه الحسين بن صالح باي والحاج بن منعة إلى تونس في محاولة لإصلاح ذات البين، حيث أنهما في طريقهما وجدا الجيش التونسي على الحدود وبرفقته مصطفى أنقليز وابنه علي فاحتجزهما حمودة باشا لمدة شهر كامل حتى اجتاز جيشه قسنطينة عام 1807م. ينظر: صالح عباد، المرجع السابق، ص 209.

[3] – يحي بوعزيز، **فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانهما أو تاريخ قسنطينة**، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2007م، ص 97.

[4] – عبد الحميد زوزو، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830– 1900**م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص 43-43- 44.

[5] – أحمد ابن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 96.

[6] – نفسه، مج2، ج3، ص 164.

الأمر، إلا أن القنصل أحجم عنه مما اضطر الداي لمراسلة الحكومة الفرنسية في ذلك، فكان جوابها ببعث نسخة من المكتوب للقنصل مع تكليفه بالإجابة عن الداي[1].

وبهذا، اعتبر الداي أن الفرنسيين يتآمرون على تضييع حقوقه على الرغم من معاهدات الصداقة المعقودة بينهما عام 1801م، أين تعهدت فيها فرنسا بتسديد ديونها السابقة للجزائر[2]. وقد جاء القنصل الفرنسي دوفال Deval إلى الجزائر يوم 27 أفريل 1827م. فعبَّر له الداي حسين عن استيائه لعدم تلقيه أي رد عن الرسالة المبعوثة لفرنسا[3]، "فاعتذر القنصل بكلام فهم منه الباشا احتقار وعدم اكتراث، وكانت بيده منشة يطرد بها الذباب، فضربه بها على وجهه وشتمه وطرده"[4]، في حين أن بعض المراجع تؤكد أن رد دوفال كان في مثل هذا المعنى: "ليس من العادة أن يخاطب الملك من هو أدنى منه بدون وساطة"[5]، وهذا ما جعل الداي لم يتمالك نفسه نفسه وأشار عليه بمروحته المصنوعة من سعف النخيل[6].

وقد عمد القنصل دوفال إلى مكاتبة دولته فيما وقع له فاهتزت لمكانتها، إلا أنها اتبعت السياسة في ردها، حيث بعثت أحد أعيانها ليستفهم من الباشا الموقف[7]، وهو الكومندان كولي، حيث طالب الداي بتقديم اعتذارات علنية، كما نصت مطالبه على بعث الداي حسين بوفد وعلى رأسهم وزير البحرية والشؤون الخارجية لتقديم الاعتذارات العلنية لقنصل فرنسا[8]، وتأكيدا للاعتذار يجب رفع العلم الفرنسي لبعض الوقت على كل

---

[1] – لوسات فلنزي، **ما يجب أن تعرف عن المغرب العربي قبل احتلال الجزائر(1790– 1830م)**، تر: حمادي الساحلي، دار سراس، تونس، 1994م، ص 146- 147.

[2] – أحمد عزت عبد الكريم، **دراسات في تاريخ العرب الحديث**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص 345؛ محمد سهيل طقوش، **تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة**، دار النفائس، ط2، بيروت، لبنان، 1429هـ/ 2008م، ص 360.

[3] – محمد الشريف ساحلي، **تخليص التاريخ من الاستعمار**، تر: محمد هناد، محمد الشريف بن دالي حسين، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، الجزائر، 2002م، ص 65.

[4] – أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 164.

[5] – بسام العسلي، **المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي (1830– 1838م)**، دار النفائس، ط2، بيروت، لبنان، 1403هـ/ 1983م، ص ص 182؛ عبد المنعم الهاشمي، **موسوعة تاريخ العرب العصر الحديث**، دار البحار، ط1، بيروت، لبنان، 2006م، ص 320.

[6] – حمدان خوجة ، المصدر السابق، ص 180. ولمعرفة تفاصيل هذه الحادثة ينظر: أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج3، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2011م، ص 260- 261.

[7] – أحمد ابن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 164.

[8] – عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي، **مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 201.

حصون مدينة الجزائر، مع طلق مائة طلقة مدفعية تحية له، بالإضافة لتحديدهم لقبول هاته الشروط في ظرف أربع وعشرين ساعة[1].

وقد جمع الباشا (الداي حسين) أعيانه ورجاله ليشاورهم في هذا الأمر فأجابوه بقبول ذلك لأن قوتهم في تلك الفترة لا تسمح لهم بالإقدام على حرب، فاكتفى بوصفهم بالجبن[2]، رافضا تقديم أي ترضية أو اعتذار لفرنسا. هذا ما جعل الخلاف يستمر بين البلدين وذلك لتمسك كل طرف برأيه[3]. كما بعث لرسول الفرنسيين يأمره بالرحيل بالإضافة لإطلاق النار عليه من برج المرسى[4]. وسافر المبعوث الذي أخبر دولته بما حصل له فاستعدت لإعلان الحرب على الجزائر، كما عمدت فرنسا لمراسلة الدولة العثمانية مبررة موقفها في أخذ حقها بنفسها، بالإضافة لإعلامها لباي تونس أبي عبد الله الباشا حسين باي وعمدت إلى تخويفه في حال تقديم يد العون للجزائر[5]. ويقول ابن أبي الضياف بهذا الصدد: "إن أردت الأمان على بلادك، فكن في هذه النازلة حبيبا للفريقين، وإن أعنت الجزائر من البر، تكن حربا لنا مثلها"[6]. وقد كان موقف بايات تونس سلبيا، أجمعوا على وجود مبررات دفعتهم لاتخاذ هذا الموقف منها:

- العلاقات التجارية مع فرنسا وتورط باي تونس في ديون لصالح تجار فرنسا خاصة عام 1829م، بالإضافة لكون معركة نافرين بيَّنت ضعف إسطنبول والجزائر وعدم قدرتهما على فرض إرادتهما على إيالة تونس، وبالتالي لم تعد تخشى خطر الجزائر[7].

- في حين أرجع التميمي قبول باي تونس بهذا الأمر، وامتناعه عن تقديم المساعدة لداي الجزائر لما كانت تعرفه تونس من أزمة اقتصادية خانقة[8].

- بالإضافة للعداء التقليدي بين الإيالتين فبالرغم من عقد الصلح بينهما بتدخل الدولة العثمانية عام 1821م إلا أن النفوس بقيت غير مطمئنة.

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية...، ص 334.

[2] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 165.

[3] – حليم ميشال حداد، **قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم(تونس والجزائر)** ، موسوعة تاريخية جغرافية حضارية وأدبية، دار كريس، كريس، بيروت، لبنان، 1998- 1999م، ص 129.

[4] – الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ج1، ص 150.

[5] – Abdeljelil Temimi, **Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830- 1837)**, 1978, p81.

[6] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 165.

[7] – احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 65- 66.

[8] – Abdeljelil Temimi, op. cit. p 81.

- طمع الباي حسين في أن يحل أحد أفراد أسرته بالجزائر محل الداي، أو التوسع على حساب الأراضي الجزائرية كضم إقليم قسنطينة.

وبالرغم من تعاطف الرأي العام التونسي مع الجزائر، فإن حسين باي امتنع عن تقديم المساعدة للجزائريين، حيث منع مرور طاهر باشا عبر الأراضي التونسية إلى الجزائر هذا ما أدى إلى فشل مهمته[1]، والمتمثلة في إقناع الجزائريين بقبول شروط الفرنسيين، وبهذا تحل المشكلة ولا يبقى أي أثر لمبرر الحصار ولا للتحركات العسكرية[2]. حيث أن ابن أبي الضياف أشار لهذه الحادثة، ونوّه بأن الباي أكرم طاهر باشا وأحسن استقباله، إلا أنه اعتذر على عدم مروره، وذلك بعد استشارة رجال دولته، فقرروا بالإجماع على عدم نزوله إلى البر، واختلف السبب في ذلك، فالوزير شاكير مانع نزوله لكون طاهر باشا لا يحبذ تقبيل يد الباي عند مقابلته وأُعتبر عذرا "أوهن من بيت العنكبوت"، في حين أن الوزير محمد كاهية رأى أنه من غير اللائق إرساله بمفرده في الصحاري دون حامية، إلا أن هذا يمكن أن يعتبره الفرنسيون تقديما للمساعدة بطريقة غير مباشرة، في حين أن الوزير سليمان كاهية خاف من حدوث فوضى بين العامة إذا سمعوا بمقدمه، وبالرغم من أن القبطان حسونة المورالي رأى أن ينزل طاهر باشا ويتم إكرامه والاعتذار منه فيما بعد، إلا أن الوزير شاكير لم يحبذ هذا الفعل وتمسك برأيه، هذا ما دفع بالباي لبعث من اعتذر منه موضحا له أسباب ذلك[3].

في حين أن بعض الآراء تُحمل فرنسا مسؤولية عدم مرور طاهر باشا للجزائر، حيث أن البحرية الفرنسية أسرته ولم تفرج عنه إلا بعد أن تم لها احتلال الجزائر[4]. وقد وضح لنا صالح عباد بأن طاهر باشا منعه أسطول فرنسا من المرور، وفي نفس الوقت سمح لسفن أنجليزية وإسبانية وغيرها ببلوغ الميناء، فحاول طاهر باشا المرور برا عندما منع بحرا غير أن حسين باي منعه من ذلك خوفا من التهديدات الفرنسية[5].

وبهذا، فقد أنزل الأسطول الفرنسي قواته بمنطقة سيدي فرج في 14 جوان 1830م وضمت الحملة سبعة وثلاثين ألف مقاتل يساعدهم عشرون ألف من رجال البحرية مع مائة سفينة حربية، بالإضافة لسفن مساعدة مستأجرة من طرف فرنسا[6].

---

[1] – حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 53.

[2] – أرزقي شويتام، **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي (الفترة العثمانية 1519– 1830م)**، دار الكتاب العربي، ط1، 2010م، ص 120.

[3] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 166.

[4] – سهيل محمد طقوش، المرجع السابق، ص 362.

[5] – صالح عباد، المرجع السابق، ص 249؛ عزيز سامح ألتر، **الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية**، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 1409هـ / 1989م، ص 643.

[6] – عبد المنعم الهاشمي، المرجع السابق، ص 321.

ولم تكن حادثة المروحة السبب الوحيد لإعلان الحرب، بل تعددت أسباب ودوافع فرنسا في احتلال الجزائر من سياسية واستراتيجية واقتصادية واجتماعية وثقافية ودينية[1].

ولما أحس الداي حسين بخطورة الموقف رغم طلبه من ولاة الأقاليم الثلاثة: (قسنطينة، ووهران، والتيطري) إرسال الإمداد والدعم، إلا أن هاته الاستعدادات التي أمر بها الباي من تحصين للقلاع والموانئ جاء متأخرا[2].

وقد بعث الجنرال دي برمون Dépormone يطلب الاستسلام، فذهب أهل البلاد إلى الباشا فأجابهم بالقبول، وكانت المعاهدة يوم الاثنين 13 محرم 1246هـ / 5 جويلية 1830م، وقد وصف ابن أبي الضياف الداي حسين بعدم وطنيته بقوله:"(...) ولا ما يقتضي حب الوطن وبنيه، ولا سياسة يعرف بها نفسه والحال وما يقتضيه(...) وكان الأمان على ماله أول آماله(...) ولو كان من أبناء ترابها ما سهل عليه ذلك"[3].

إلا أن المطلع على بنود معاهدة الاستسلام يكتشف أن الداي اشترط فيها الإبقاء على ممارسة الديانة المحمدية، وعدم الإعتداء على حرية السكان وغيرها من البنود التي تثبت حمايته للوطن[4].

أما فيما يتعلق بموقف حكام تونس، فظلوا يراقبون الأحداث، وذلك طمعا لتحقيق مكاسب من وراء هذا الاحتلال. حيث بادر باي تونس لإرسال وفد يتكون من سليم آغا والمترجم حسونة المورالي لتهنئة الجنرال دي برمون[5]، في حين يرجع ابن أبي الضياف ذهابهم لإعادة التونسيين المتواجدين بالجزائر لوطنهم تونس، وكان رجوع السفن يوم الخميس 24 محرم 1246هـ / 15 جويلية 1830م[6].

---

[1] – العربي الزبيري، مدخل إلى تاريخ...، ص 106- 110. وللاستزادة ينظر: عمار هلال، **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830– 1962م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص 48- 50؛ يحي بوعزيز، **الاستعمار الأوروبي الحديث في افريقيا وآسيا وجزر المحيطات**، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص 34.

[2] – بسام العسلي، **جهاد الشعب الجزائري (الجزائر والاستعمار)**، ج1، دار العزة والكرامة للكتاب، الجزائر، ص 195.

[3] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 168.

[4] – لمراجعة بنود معاهدة الاستسلام ينظر: حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 203- 204؛ محمود السيد، **تاريخ دول المغرب العربي (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2004م، ص 168؛ حلمي محروس إسماعيل، **تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1997م، ص 228- 229.

[5] – ناصر الدين سعيدوني، **عصر الأمير عبد القادر الجزائري**، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2000م، ص 128. ينظر كذلك: Abdeljelil Temimi, op. cit. p 82.

[6] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 168.

كما أنه نتيجة لتوتر العلاقات بين البلدين، أنه وبمجرد احتلال فرنسا للجزائر، بعث الباي حسين للقنصل الفرنسي يتمنى النصر للأمة الفرنسية حيث قال: "إني أتمنى أن يكون النصر للأمة الفرنسية(...) وليس أحد أشد تشوقا مني في معاقبة عدوها الظالم داي الجزائر"[1]

4. علاقة المقاومات الجزائرية بنظام الحكم في تونس:

1.4. موقف بايات تونس من مقاومة الحاج أحمد باي:

لقد كان موقف بايات تونس متواطأ مع الفرنسيين، وتجلى ذلك منذ بداية الأزمة الجزائرية الفرنسية، حيث عقدوا اتفاقا مع فرنسا منذ عام 1827م لتقديم المساعدات اللازمة لهم مقابل منحهم حكم بايلك قسنطينة ووهران، وهو ما نصت عليه اتفاقية 18 ديسمبر 1830م[2]. وفي الخامس من جمادى الثانية سنة 1246هـ / الأحد 21 نوفمبر 1830م، سافر كل من الوزير أبي النخبة مصطفى صاحب الطابع ومعه الكاتب الفقيه أبو الربيع سليمان المحجوب في بابور فرنسي نحو الجزائر بطلب من الباي التونسي حسين باشا لأمر سياسي تمثل في مكاتبته لعلماء البلاد وأعيانها يطلب منهم ضم قسنطينة إليه وهذا "حقنا لدماء المسلمين" كونهم غير قادرين على مواجهة الاحتلال الفرنسي[3].

إلا أن هذا العرض كان منصوصا عليه من طرف القائد العام كلوزيل Clauzel ومضمونه يتمثل في عرضه على باي تونس توقيع معاهدة يتم بمقتضاها تعيين أخيه سي مصطفى على بايلك قسنطينة خلفا لأحمد باي[4]، ومما يؤكد على موافقة باي تونس لهذا العرض هو توجيهه للعديد من الرسائل لأعيان البايلك منددا فيها بسياسة الحاج أحمد باي، محرضا على عصيانه، مؤكدا على تبعية قسنطينة لتونس سابقا، وبالتالي ستعود لها قريبا[5].

قريبا[5].

كما أن الحاج أحمد باي عمد إلى جمع ديوانه، يعرض عليهم دعوى باي تونس، فأجمعوا على إرسال رسالة إليه ومما جاء فيها أنه ليس من حقه المطالبة بقسنطينة، والمرجع الرئيس في هذا الأمر هو السلطان العثماني، حيث أنهم أخبروه بما أنه هو يستمد سلطاته من السلطان العثماني فكذلك قسنطينة تستمد سلطاتها منه هو لا غير،

---

[1] – احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 68.

[2] – خير الدين شترة، **إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900– 1939م**، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 79.

[3] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج4، ص 175. للاستزادة ينظر: Abdeljelil Temimi, op. cit. pp 84– 85.

[4] – بسام العسلي، جهاد الشعب...، ج1، ص 226.

[5] – يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين (ثورات القرن التاسع عشر)**، ج1، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ط2، ط2، الجزائر، ص 64.

كما أشاروا في ردهم عليه على رضاهم بحكم الحاج أحمد باي[1]، في حين أن ابن أبي الضياف يصف رد الحاج أحمد باي بقوله: "(...) دل على غلظ وإعجاب، وعقل قاصر بحجاب"[2].

ومما يدل على تمسك أهل قسنطينة بحكم الحاج أحمد باي عليهم، إشارتهم عليه أن يلقب نفسه بالباشا كخليفة للداي حسين وسك النقود بإسم السلطان تفاديا لهاته الإشاعات، هذا ما جعله يتماثل لرأيهم[3].

إلا أنه، وفي ظل عدم موافقة فرنسا على هاته المعاهدة. ظلت حبرا على ورق لرفض المصادقة عليها من طرف البرلمان الفرنسي، لأنها ليست في صالح فرنسا[4]، ورغم ذلك خلقت نوعا من التشتت والجفاء في العلاقات بين قسنطينة وتونس[5].

ومما يؤكد توتر العلاقات بين الطرفين، أن موقف بايات تونس من الحاج أحمد باي ظل بفعل أطماعهم بقسنطينة متصفا بالسلبية والتوتر في العلاقات، واتضح ذلك من خلال ما لقيه أحمد باي من صعوبات وإعاقات في اقتناء البارود وشراء الأسلحة الإيطالية من الموانئ التونسية[6]، و كذا عرقلة وصول الذخائر والمساعدات الموجهة نحو قسنطينة[7].

كما عمد الجنرال كلوزيل إلى عرض نفس الاتفاقية على باي تونس بخصوص وهران هذه المرة، وذلك مقابل ضريبة معينة من المال يقوم بدفعها بالمقابل يتم تعيين أحد أفراد أسرته على حكم وهران. فاغتنم الباي التونسي الفرصة لأهداف حاول ابن ابي الضياف تبريرها بدوافع غير مقنعة كلها، منها حقن دماء المسلمين، والحفاظ على وطنه من تمردات القبائل، وزيادة ثروته[8]. وبالفعل، أرسل باي تونس القائد خير الدين آغا بقوة عسكرية قوامها حوالي مائتين وخمسين رجلا، واتخذ من البرج الأحمر بوهران مقرا لإدارته[9]. وقد رافقه كل من الكاتب أبي محمد

---

[1] – أحمد باي، **مذكرات أحمد باي**، ص 79؛ أبو القاسم سعد الله ، **محاضرات في تاريخ الجزائر(بداية الاحتلال)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1982م، ص 137.

[2] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج4، ص 175.

[3] – يحي بوعزيز، ثورات الجزائر...، ج1، ص 64.

[4] – أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء...، ج2، ص 95.

[5] – يحي بوعزيز، ثورات الجزائر...، ج1، ص 64.

[6] – ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة**، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م، ص ص 214.

[7] – صالح عوض، **معركة الاسلام والصليبية في الجزائر من سنة 1830 إلى سنة 1962م (دراسة تحليلية)**، ج1، مطبعة دحلب، ط2، الجزائر، 1992م، ص 136.

[8] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج4، ص 176.

[9] – ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير...، ص 129.

حسن بوكاف وأبو محمد حسونة المورالي وكان وصولهما يوم 5 شعبان 1246هـ / 19 جانفي 1831م، بالإضافة لإمداده بعساكر بقيادة محمد شولاق أحد أعيان المماليك، وقد كان هدفهم الرئيسي هو جمع الضرائب من السكان[1]، إلا أن تنصيبه كان مجرد إجراء شكلي لا يخول للحاكم التونسي أي صلاحيات، حيث كانت مجرد مجرد مناورة سياسية زادت في تعميق الفرقة في العلاقات بين الجزائر وتونس، وضاق خير الدين ذرعا من تصرفات السكان الذين كانوا ناقمين عليه، معتبرين تصرفات أفراد حاشيته أعمالا معادية لهم[2]. ويقول ابن أبي الضياف: أن أن خير الدين كاتب الباي بعدم الاكتفاء بالعساكر المرسلة له وعدم مقدرتها على التصدي للآلاف من سكان المنطقة، فما كان على الباي التونسي إلا أن أذن له بالعودة وفسخ العقد، وكانت عودته في أكتوبر عام 1831م "صفر اليدين، مثقلا بالدين(...)"[3].

في حين تشير بعض المراجع إلى أن هاته الأحداث أدت بفرنسا إلى الاسراع لوضع حد نهائي لهاته المغامرة وذلك باستدعائها من تونس للضابط هودر (Hudder) المكلف بالمفاوضات، وإعفائها للجنرال كلوزيل وتعيين مكانه برتوزان (Berthezene) الذي حمل معه أوامر تقضي بطرد الحاكم التونسي وأعوانه من وهران[4]، وهذا ما أشار إليه الآغا بن عودة المزاري بقوله: "وأطرد النصارى التوانسة من وهران، وأبعدوهم عن الدواوين لما رأووا سيرتهم مخالفة للأحكام الخصوصية والعمومية وسائر القوانين"[5].

وهكذا تبخرت أطماع الحكومة التونسية فلم تنفعها الخدمات التي قدمتها لفرنسا سواءً قبل الاحتلال الفرنسي أو بعده، حيث ساندته عدة مرات[6].

وبالرغم مما تقدم، فإن هذا لا يعني أن نظام الحكم كان على قطيعة تامة مع الحاج أحمد باي، حيث يذكر الأخير في مذكراته أن باي تونس، بعد منعه المساعدة المقدمة من الباب العالي نحو قسنطينة، بعث برسالة اعتذار مبررا ذلك بطبيعة العلاقات التي كانت تربطه بفرنسا وعلى أساسها كان لا يرغب في جلب المتاعب لبلاده. ومما جاء في رسالته: "(...) لم أفعل ذلك عن محض إرادتي، وما قصدت غير الخير فاسمح لي يا أحمد(...)"[7].

---

[1] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج4، ص 177.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير...، ص 129.

[3] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج4، ص 177- 178.

[4] – ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير...، ص 130.

[5] – الآغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، ج2، تح: يحي بوعزيز، بوعزيز، دار البصائر، ط1، الجزائر، 2007م، ص 93.

[6] – أرزقي شويتام، دراسات ووثائق...، ص 128.

[7] – أحمد باي، المصدر السابق، ص 61- 62.

كما يشير أحمد باي أن باي تونس استقبل المبعوث الذي أرسله لحاكم تونس أحسن استقبال، وأرجع أحمد باي سبب الحفاوة لكونه في هاته الفترة ينوي الانفصال عن الباب العالي لا محبة فيه[1].

وبعد ضياع قسنطينة، كاتب أحمد باي حاكم تونس لكي يعتني باللاجئين إلى هناك، ويرأف بهم، إلا أن صاحب تونس رفض التجاء أحمد باي إلى تونس، لأنه لم يكن يثق به[2]. ويقول ابن أبي الضياف يصف أحمد باي في مقاومته: " بقي الحاج أحمد باي في قسنطينة، عائثا في دمائها وأموالها، إلى أن أخذها الفرنسيس (...) وهرب خشية أن يسلمه أهل البلاد وقد تواطؤوا على ذلك(...)"[3].

في حين أن العديد من المراجع تؤكد على مقاومة أحمد باي الباسلة، وأن استسلامه كان بعد يومين من سقوط قسنطينة، فبينما كان يستعد للتوجه نحو الصحراء، بعث له قائد الجيش الفرنسي يعرض عليه الاستسلام ويقوم بتسفيره لفرنسا سريا، إلا أنه رفض ذلك. وبعد يومين، وافق على الاستسلام وعارض السفر لفرنسا، وإنما أراد أن تترك له الحرية في الذهاب لبلد إسلامي، إلا أن خاله ذكره بالتزامه بالتوجه للصحراء، فرضخ للأمر ورفض الشروط التي قدمت له[4].

كما تأسف أحمد باي لعدم احترام أصحابه لكرم الضيافة، فقد أغاروا على زاوية عبد الكريم ونهبوا الحبوب لأنها كانت بمثابة خزان لها، حيث اضطر إلى دفع حوالي خمسين ألف ريال للمتضررين رغم أن الكاهية قال لا ضرورة لذلك[5].

---

[1] – أحمد باي، المصدر السابق، ص 82- 83.

[2] – يحي بوعزيز، ثورات الجزائر...، ج1، ص 73.

[3] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج4، ص 178.

[4] – يحي بوعزيز، ثورات الجزائر...، ج1، ص 72. للاطلاع على مقاومة الحاج أحمد باي ينظر: العربي منور، **تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر**، دار المعرفة، الجزائر، ص 165 ومابعدها.

[5] – يحي بوعزيز، ثورات الجزائر...، ج1، ص 73.

2.4.علاقة الأمير عبد القادر بنظام الحكم في تونس:

لقد كان للأمير عبد القادر[1] صلات وعلاقات دولية واسعة ومتنوعة مع ساسة العالم وقادته السياسيين والعسكريين، حيث حظي بالتقدير والإكبار من طرف الجميع بفضل مواقفه البطولية، خاصة في كفاحه ومقاومته[2] للاستعمار الفرنسي بالجزائر (1830- 1847م)[3].

وقد ذكر ابن أبي الضياف عندما تحدث عن استسلام الأمير ومعاملة الفرنسيين له قائلا: "ولم يلق من الفرنسيس إلا السلامة، وعدم الامتهان، وأنزلوه بقلعة تشبه البستان، ولما دالت الدولة لسلطان الفرنسيس في ذلك العهد، رأى أن جعله في تلك القلعة غير لائق بمهمة الجنس الفرنساوي، فأخرجه وأباح له الحرية(...)"[4].

وعندما قرر الأمير الاستسلام، بادر الجنرال **لامورسيير**Lamoriciére، رئيس الجنود الفرنسية بختمه على ورقة من بياض ليشترط فيها الأمير ما يريد وبعث معها سيفه[5]، وبالتالي أرسل الأمير شروطا بواسطة مندوبين مندوبين إلى قائد مقاطعة وهران وتتمثل في توجهه مع عائلته لعكا أو الاسكندرية، وكذا السماح لمن يرغب في السفر معه من أقربائه وجنده، بالإضافة لعدم التعرض لمن يبقى في الجزائر[6].

إلا أن فرنسا لم تف بالتزامها، حيث عمدت لأخذه كسجين عادي إلى نواحي تولون Toulon لحصن لاماق Lamak، بالإضافة لبيع ممتلكاته، ولم يصله منها إلا الجزء القليل. وبعد عدة أشهر من السجن غير

---

[1] – **الأمير عبد القادر**: ولد يوم الجمعة 23 رجب سنة 1222هـ ببلدة القيطنة بمعسكر وبويع عام 1832م، وقاد المقاومة منذ الاحتلال الفرنسي حتى استسلامه عام 1847م. ينظر: نزار أباظة، **الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد**، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، لبنان، 1414هـ - 1994م، ص 11- 12؛ إسماعيل باشا البغدادي، المصدر السابق، مج1، ج1، ص 605؛ إسماعيل باشا بن محمد بن مير سليم، المرجع السابق، مج1، ص 326؛ الشيخ عبد الرزاق البيطار، المصدر السابق، ج2، ص 883؛ يوسف إليان سركيس، المرجع السابق، ج1، ص 691- 693؛ عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج2، ص 198؛ أبي القاسم محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، تح: محمد أبو الأجفان، عثمان بطيخ، ، دار الرسالة، بيروت، لبنان، ص 316- 322.

[2] – للإطلاع على مقاومة الأمير عبد القادر ينظر: الأمير عبد القادر، **مذكرات الأمير عبد القادر (سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849م)**، تح: محمد الصغير بناني، وآخرين، دار الأمة، الجزائر، 2007م، ص 106- 124؛ أ.ف.دينيزن، **الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر**، تر وتق: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2009م، ص 122- 128.

[3] – يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 281.

[4] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج3، ج6، ص 70.

[5] – نزار أباظة، المرجع نفسه، ص 12.

[6] – أديب حرب، **التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري (1808– 1847م)**، ج2، دار الرائد للكتاب، ط3، الجزائر، 2005م، ص 573.

المبرر، تم سجنه في قصر بو Pau عام 1848م. وتحت رقابة مشددة، وفي نوفمبر من نفس العام، أُخِذ لقصر لامبواز Lamboise في ظروف أشد قساوة وصرامة[1].

إلى أن جاءه نابليون الثالث إلى مقر إقامته في محرم 1269هـ / أكتوبر 1852م، حيث ناوله ورقة تسريحه كإعلان لوفاء عهد فرنسا وقال له: "إنه كان في خلدي من مدة أنني لو أجد سبيلا إلى خلاصك من يد من لم يكترثوا بوفاء العهد لك، ما تأخرت عن ذلك"[2].

لقد غض ابن أبي الضياف الطرف عن ذكر العلاقات بين الجزائر وتونس خلال مقاومة الأمير عبد القادر، الذي قام بالعديد من الاتصالات الدبلوماسية برجال الحكم في تونس، وأرسل وفدا ترأسه كل من محمد الصغير بن الحاج خليفة بسكرة، ومحمد كانون، وقد زوده بهدية معتبرة تمثلت في سيف مرصع بالجواهر وخيول مسرجة ذهبا مع آنية شاي مصنوعة بالذهب، كما لقي الوفد ترحيبا وحسن كرم بالضيافة تليق بالمقام، وهذا مراعاة لشخص الأمير. ومما يدل على حسن العلاقات، أن باي تونس رد على الهدية بأخرى معتبرة في إشارة منه للتجاوب والتعاون[3].

ومن غير المستبعد أن يكون هدف الأمير من وراء هاته المراسلة هو تأمين مجال السيادة لكل من شخصه وباي تونس في الجنوب الجزائري– التونسي، خاصة منطقتي توزر ونفطة، بالإضافة لإرادته الحصول على السلاح من البلاد التونسية[4].

كما راسل الأمير عبد القادر الرسميين التونسيين، يدعوهم لاستقبال وتقديم المساعدة لأولاد مقران، ومن معهم من اللاجئين، حيث جاء في رسالته لمصطفى خزندار: "(...) فالمأمول من الجانب السامي تصديق ظنهم والاعتناء بشأنهم"[5]. بالإضافة لتأكيده على ذلك برسالة أرسلها للوزير خير الدين كرر فيها نفس المطالب والرغبات، وثالثة وجهها لوزير الحرب رستم يستوصيه خيرا بالحاج المقراني ومن معه[6].

---

[1] – عبد القادر بوطالب، **الأمير وبناء الأمة الجزائرية من الأمير عبد القادر إلى حرب التحرير**، منشورات دحلب، الجزائر، 2009م، ص 188- 189. ينظر: Boualem Bessaih, **De Louis Philippe à Napoléon III (l'Emir Abdelkader Vaincu mais triomphant),** Editions ANEP, Rouiba, Alger, 2010, p 113.

[2] – محمد بن الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ج2، ص 59- 60.

[3] – احميدة عميرواي، المرجع السابق، ص 83- 84.

[4] – احميدة عميراوي، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى، ط2، عين مليلة، الجزائر، 1425هـ/ 2004م، ص 55.

[5] – يحي بوعزيز، **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص 68. للاستزادة في موقف الأمير من المقرانيين ينظر: يحي يحي بوعزيز، "وثائق جديدة عن موقف الأمير عبد القادر والدولة العثمانية من الثوار المقرانيين عام 1871م"، **مجلة الثقافة**، ع 39، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1397هـ / 1977م، ص 15- 16.

[6] – يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2009م، ص 386.

بالإضافة لمراسلته لباي تونس أحمد باشا مع توجيه هدية له متكونة من عشرة خيول وبعض التحف لعقد المحبة وحسن الجوار[1].

كما عمد خلفاء الأمير إلى السير على نهجه في توطيد علاقاته ببايات تونس، وتجلى لنا ذلك من خلال النشاط السياسي الذي قام به الحسن بن عزوز لربط صلة الأمير وتمتينها مع بايات تونس[2]. حيث وجه رسالتين لحمودة باشا جاء فيها: "(...) فإن ظهر لك أن تكون صلة بينك وبينه (الأمير عبد القادر) في المعرفة (...) فنحن بذلك بعلاء، وبإثباتها حفلاء"[3]، كما وردت الرسالة الثانية في نفس هاته الأفكار[4].

كما سار على نفس الدرب خليفة الأمير الثاني على ولاية الزيبان والصحراء الشرقية محمد الصغير بن عبد الرحمان، حيث راسل بايات تونس بهدف توثيق العلاقات بينهم وبين الأمير عبد القادر، وتجلى ذلك من خلال إرساله لأربع رسائل، منها رسالتان بأمر من الأمير عبد القادر، حيث وجه الأولى لمصطفى صاحب الطابع، والثانية لأحمد باشا ومما جاء فيها: "فإننا كلفنا (...) عبد القادر بن محي الدين أن أقدم إلى حضرتك (...) وتكون بينك وبينه محبة ومودة"[5].

لكن بايات تونس كان لهم موقف معارض ومضاد من مقاومة الأمير عبد القادر، اتضح ذلك من خلال منع وكيله من شراء الأسلحة بإسم الأمير وتقديم أي مساعدة له[6]، وذلك لكون الأمير ربط صلاته بوكيل وحق تونس في جبل طارق زاكي كرطوزو اليهودي مكلفا إياه بشراء الأسلحة والذخيرة مع تقديم جواز سفر لمبعوثيه ليتمكنوا من قضاء حوائجهم، إلا أنه ومما يثبت تراجع العلاقات، هو تأنيب بايات تونس للوكيل ومطالبته بالكف عن الاتصال بالأمير، لأن تونس على حسب بايها صديقة لفرنسا وتعلن العداء لمن يعاديها[7]. ومما جاء في الرسالة الموجهة لزكي كرطوزو: "(...) بلغنا أن عندك خلطة مع عبد القادر بإعانته في بعض مهماته فتغيرنا من سماع ذلك، لأن دولتنا مع دولة فرانسا في غاية المحبة والصفا(...)"، فما كان على الوكيل إلا قطع علاقاته بالأمير[8].

---

[1] – يحي بوعزيز، كفاح الجزائر...، ص 69.

[2] – بن نعمية عبد المجيد وآخرون، **موسوعة أعلام الجزائر1830– 1954م**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، ص 118.

[3] – ينظر الملحق (01).

[4] – يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر...، ص 514. ينظر كذلك الملحق (02).

[5] – يحي بوعزيز، كفاح الجزائر...، ص 49.

[6] – احميدة عميراوي، علاقة بايلك...، ص 86.

[7] – يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر...، ص 283.

[8] – يحي بوعزيز، "موقف بايات تونس من ثورة الأمير عبد القادر"، **مجلة الأصالة**، ع 23، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ص 31.

3.4. علاقة المقاومات الشعبية بنظام الحكم في تونس:

يعود تاريخ علاقات المقاومة الجزائرية بتونس إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، ويتضح ذلك من خلال مراسلة الباي إبراهيم لصاحب تونس حسين باي بعد هجوم الفرنسيين على عنابة، حيث طلب منه إمدادهم بالحبوب لكون البلاد محتاجة لذلك وجاء في قوله: "(...) وطلب من كريم فضلك أن تسرح له نصيبا من النعمة(...)"[1].

ومما يجدر الإشارة إليه المراسلات التي قام بها محمد الصغير بن عبد الرحمان، حيث وجه رسالة إلى إبراهيم بن عون قائد الناحية الشرقية، أخبره فيها بالانتصار المحقق على القوات الفرنسية بمنطقة بسكرة، وجاء في خاتمة رسالته قوله: "وقد أخبرناكم بهذا لتأخذوا حظكم معنا بالفرح والسرور". وقد لجأ محمد الصغير بعد استسلام الأمير عبد القادر سنة 1847م إلى نفطة التونسية بالجريد أين استقر بها[2]. بالإضافة للجوء الشيخ محمد الحسناوي بن بلقاسم شيخ الحنانشة إلى تونس، وراسل في ذلك حاكم تونس الباي أحمد باشا مخبرا إياه بالتجائه إلى تونس "وطن الإسلام"، طالبا منه في الأخير وساطة مع فرنسا بقوله: "اجعل لنا بابا مع الفرنصيص على نظرك".

ومما يدل على أن بايات تونس كانت علاقاتهم بقادة المقاومة متوترة، هو ما حصل للمقاوم محمد بن عبد الله الشريف، حيث تضايق منه باي تونس أحمد باشا لأنه اتخذ من تونس قاعدة خلفية للمقاومة التي ابتدأها منذ عام 1851م[3]، وبضغط من القوات الفرنسية حيث تلقى أحمد باشا رسالة من القنصل يخبره فيها بعلمه بالتجاء الشريف إلى تونس، فأجابه باي تونس بأنه طلب من وزيره أحمد زروق بطرده وعدم قبوله بالعمالة (بتونس). وفي رسالة ثانية جاء فيها: "(...) إن رجلا من تلمسان اسمه الشريف بن عبد الله قدم إلى أطراف بلادنا من ناحية الجريد، وأمرنا بطرده وإبعاده وعدم قبوله". كما أخبره بأنه سيلجأ لاستعمال العنف ضده حتى في حال عدم إقدامه على فعل شيء[4]. بالإضافة لالتجاء المقاوم بن شهرة إلى نفطة وتوزر بالجريد التونسي، وذلك بعد وضع الاحتلال الفرنسي يده على الأغواط، وورقلة عام 1835م، إذ كاتب باي تونس محمد باشا في التجائه مع بعض رفاقه، طالبا منه استضافتهم[5]، إلا أنه، وفي ظل شنه للغارات على أعوان الفرنسيين ومساعدته من طرف العديد من اللاجئين في ذلك منهم محمد بوعلاق اليعقوبي، هذا ما جعل الباي محمد الصادق باشا يوجه رسالة لوزيره

---

[1] – احميدة عميراوي، علاقة بايلك...، ص 83، 146.

[2] – يحي بوعزيز، كفاح الجزائر...، ص 48- 50.

[3] – يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر...، ص 516،522.

[4] – يحي بوعزيز، كفاح الجزائر...، ص 109.

[5] – يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر...، ص 524.

خزندار يطلب منه اعتقالهما ووضع حد لنشاطهما، وتمَّ القبض على بوعلاق وبن شهرة، ومكث بوعلاق بالسجن بحلق الوادي حتى وفاته عام 1875م[1].

كما التجأ محمد الكبلوتي، لما اشتد ضغط القوات الفرنسية عليه، إلى الحدود التونسية، فاستقبله الشيخ الميزوني بحفاوة كبيرة[2]. وقد راسل الكبلوتي باي تونس المشير مصطفى باشا ورئيس وزرائه مصطفى خزندار طالبا منه الحماية وتقديم العون له وللصبايحية الذين قدموا معه، إلا أن الوزير طالب بإبعادهم عن الحدود مع تقديم الحبوب لهم وهذا حتى لا يتسببوا في مشاكل لتونس مع فرنسا[3].

بالإضافة إلى التجاء المقرانيين بعد فشل ثورتهم إلى تونس إذ توسط الأمير عبد القادر لهم لدى باي تونس، طالبا منه ومن وزرائه إحسان استقبالهم وتكريم نزلهم وفي حال تعذر ذلك، يطلب توجيههم لدمشق لمعالجة أمورهم[4].

وبالتالي فقد كانت أكبر الهجرات إلى تونس من طرف المقاومين الجزائريين، منها زمالات الحدود الشرقية، والكبلوتي، والمقرانيين، وابن شهرة عام 1871م، وتوزعوا في جهات مختلفة بتونس[5].

وبالرغم من الاستقبال اللائق من طرف الدوائر الرسمية التونسية لمحي الدين بن الأمير عبد القادر عند ذهابه لتونس في شهر أكتوبر 1870م، حيث منحه الباي محمد الصادق نيشان الافتخار التونسي يوم 18 نوفمبر 1870م، إلا أن السلطات التونسية سرعان ما غيرت نظرتها نحوه، وتجلى ذلك من خلال منح التعليمات للشرطة والولاة في الأقاليم لاعتقاله أينما وجد. وقد يكون من الأسباب الدافعة لذلك، تخوفها من أن يتسبب محي الدين في مشاكل لها مع فرنسا خاصة في ظل تزايد الأزمة المالية من جهة، والتنافس الاستعماري عليها من جهة أخرى. كما يمكن أن يكون تغيير موقفها بإيعاز من أعوان الفرنسيين بتونس[6].

لقد اتخذت تونس في موقفها للمقاومة الجزائرية اتجاهين أولهما اتجاه الساسة الرسميين من بايات ووزراء وولاة الذي كان سلبيا لأبعد الحدود، وتجلى ذلك من خلال معارضتهم لمقاومة الشريف محمد بن عبد الله، ومحي الدين بن الأمير عبد القادر، وابن شهرة، والمقرانيين، والكبلوتي، وصبايحية زمالات الحدود عام 1871م.

---

[1] – يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا...، ج1، ص 377، 379.

[2] – يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر...، ص 531.

[3] – يحي بوعزيز، كفاح الجزائر...، ص 260.

[4] – يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر...، ص 285.

[5] – خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 81.

[6] – يحي بوعزيز، كفاح الجزائر...، ص 225- 227.

والاتجاه الثاني تمثل في موقف الشعب التونسي الذي كان متعاطفا وإيجابيا إلى أبعد الحدود، وتجلى ذلك من خلال استقبالهم للمقاومين الجزائريين، نذكر على سبيل المثال لا الحصر تقديم المساعدات المادية كالأغذية، والخيام والإسعافات الأولية لكل من صبايحية زمالات الحدود الشرقية، والكبلوتي، والمقرانيين، وابن شهرة، وتوزيعهم على جهات في تونس خاصة بعروش دريد، وكذا تأييدهم لمحمد الحسناوي بن بلقاسم الحناشي الذي حاول يوسف الليفرو إعادته فلم يتمكن بفضل تأييد الشعب التونسي له[1].

5. ثورة علي بن غذاهم عام 1864م ونتائجها:

لقد فوجئت الحكومة التونسية في ربيع عام 1864م بقيام ثورة ترأستها عدة قبائل، لم تلبث في ظرف أسابيع قليلة أن انتشرت في ربوع غالبية البلاد، وكان سببها المباشر يتمثل في زيادة الضرائب[2]، حيث صدر منشور الباي، والذي كان بتاريخ جمادى الثانية 1280هـ / ديسمبر 1863م ومما جاء فيه: "(...) ويخلص المأمور بالخلاص اثنين وسبعين ريالا على كل نفر من أهلها"[3]، وذلك نظرا لتردي الأوضاع الاقتصادية داخل تونس، مما جعله يؤدي إلى رفع الضرائب[4]، وقد أدى هذا القرار إلى هز جموع الشعب، حيث رفضته الأعراب عن بكرة أبيهم، وعمت البلاد موجة من السخط والغضب على الحكام لتنقلب في النهاية إلى حركة شعبية[5] ترأسها علي بن بن محمد بن غذاهم، ويعرفه ابن أبي الضياف على أنه: " ظهر في عرش ماجر من أولاد مساهل، من عامة من ينسب نفسه إلى العلم، وقصارى أمره معرفة حروف الكتابة، اسمه علي بن محمد بن غذاهم، ولم يكن له قدم في إمرة ولا شهرة سوى أن أباه كان من أطباء العربان، وولي خطة القضاء بناجعته"[6]، وقد اشتدت بذلك الاضطرابات والفتن حتى صارت دار حرب.

---

[1] – يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر...، ص 318، 320- 321.

[2] – جان غانياج، **ثورة علي بن غذاهم 1864م**، تر: لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1965م، ص 11.

[3] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج3، ج5، ص 115.

[4] – زاهر رياض، **استعمار القارة الأفريقية واستقلالها**، دار المعرفة، ط1، القاهرة، مصر، 1966م، ص 99.

[5] – عبد الجليل التميمي، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي(تونس، الجزائر، ليبيا) (1816– 1871م)**، تق: روبار منتران، الدار التونسية للنشر، ط1، تونس، مارس 1972م، ص 20.

[6] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج3، ج5، ص 121.

وتجلت العلاقات الجزائرية التونسية في هاته الثورة من خلال تدخل شخصيات جزائرية محاولة حل هاته الأزمة تمثلت في شخصية مصطفى بن عزوز[1] الذي كانت له يد في إطفاء هاته الثورة[2]، حيث اجتمع بعلي بن غذاهم وجماعته بعد أن أخذ لهم الأمان من الباي مستوثقا منه بالعهود والأيمان، وقد نصح علي بن غذاهم وجماعته بقول جاء فيه: "لا جواب لكم عند الله تعالى على إراقة دماء المسلمين، وقد أعطاكم الباي الأمان على يد أمير المحلة، وخفف عنكم أكثر مما يظن إلى غير ذلك مما تفضل به عليكم خشية إراقة الدماء"[3].

في حين أن بعض المراجع تقول أن مصطفى بن عزوز مال إلى قوات الباي بمجرد أن اندلعت الثورة، وذلك لكون فرنسا كانت تدعم الثورة ضده، حيث ورد في كتاب ثورة بن غذاهم بأن مصطفى بن عزوز قضى عدة أيام في خيمة الجنرال زروق، وبعد اتفاقهما على خطة، سافر إلى الداخل لاستمالة القبائل الثائرة، وبث دعوة الاستسلام بين الفراشيش وماجر، وقد كان خروجه من توزر[4] نحو القيروان حيث اجتمع مع أعيان جلاص المضطهدين وتكلم مع العامة أيضا مبلغا لهم أوامر الباي في الأمان وإسقاط ما ثقل من أداء الإعانة، فما كان عليهم إلا أن ذهبوا معه إلى الباي، حيث قابلهم مقابلة حسنة وأكرم نزلهم، وكان عقده للأمان في حضرتهم، وقال ابن أبي الضياف في هذا: "عقد الباي يده بيد الشيخ، وعاهده على الوفاء بالعهد في أمان الناس ظاهرا وباطنا(...)"، حيث قال مصطفى بن عزوز لعلي بن غذاهم فيما معناه: أنه ما دمت لست قائما بهدف الملك، وتزعم بأنك ثائر من أجل العصابة الشاكية لكف الظلم عنها، وبالتالي ما دام السبب زال، فلا بد أن يزول المسبب. وبالتالي فقد زال القتال وحقنت دماء المسلمين بفضل تدخل مصطفى بن عزوز وأسقط بذلك الباي إجحافه في الإعانة وأصبحت عشرة ريالات فقط، كما وأسقط من العشر مع تركه للأداء على ما يباع في غير الأسواق، بالإضافة لمنح الأمان الذي طلبه علي بن غذاهم لإخوته وقومه ولنفسه، فما كان على الباي إلا إجابته لذلك[5].

كما تلقى بن غذاهم، لما ثار على الباي التونسي، المساعدات من الطرف الجزائري هذا ما مكنه من الصمود طويلا، فبالإضافة لمصطفى بن عزوز، عملت قبيلة عبد النور المتواجدة بناحية قسنطينة على مناصرته وآوته هو ومن معه البالغ عددهم نحو 3000 فرد، هذا رغم مضايقة الفرنسيين لهم[6]. حيث أن ابن غذاهم لما

---

[1] – **مصطفى بن عزوز**: وهو من صحراء الزاب ببسكرة. وله زاوية صغيرة تسمى بالبرج في الجزائر، كما ذاع صيته في تونس وذلك لكونه بث بها الطريقة الرحمانية، وأنشأ زاوية هناك، بالإضافة لتدخله في وضع حل لثورة علي بن غذاهم عام 1864م، وقد عرف بصفاته وخصاله الحسنة. وكانت وفاته عام 1282هـ/ 1866م. ينظر: أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج4، ج8، ص 142- 143.

[2] – محمد بن محمد مخلوف ، التتمة...، ص 175.

[3] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج3، ج5، ص 168.

[4] – جان غانياج، المرجع السابق، ص 107؛ يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر...، ص 520.

[5] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج3، ج5، ص 176- 177، 169.

[6] – احميدة عميراوي، علاقة بايلك...، ص 48- 49.

توجه فارا للجزائر وذلك بعد أن تأكد من نجاح المؤامرة التي أُحيكت ضده، وضعته السلطات الفرنسية تحت الرقابة عند أولاد عبد النور ، وبإدعائه أنه ولي صالح ازدحم عليه الأعراب من كل جهة تبركا به، إلا أنه وفي ظل مطالبة الفرنسيين للقبائل الملتجئة معه بتسليم كل ما لديها من الأسلحة، قرر الفرار من قصر الضيافة[1].

بالإضافة لتجلي العلاقات أيضا بين البلدين عندما تدخل الشيخ محمد العيد[2] وتوسطه في هذه القضية، وذلك بطلب من علي بن غذاهم، حيث توجه له لما سمع بمقدمه لتونس من الصحراء في طريقه لبيت الله الحرام، طالبا منه الشفاعة عند الباي فأجابه لذلك بقوله : "(...) سأبذل جهدي وجاهي في الشفاعة"، وأنزله معه في خيمته. وبمجرد أن سمع الباي ببن غذاهم في حمى الشيخ محمد العيد، طلب من باش حانبة الحاج الصادق ابن الشيخ أبي عبد الله محمد البحري بن عبد الستار ومعه الفرسان، لاستقبال الشيخ ظاهريا، وخفية منه ألقوا القبض على ابن غذاهم هذا ما جعل الشيخ يشعر بالإمتهان لكرامته .

وكان وصول ابن غذاهم لباردو يوم الخميس 14 شوال 1282 هـ /1 مارس 1866م، وقد عاملوه معاملة قاسية فضُرِب وشُتِم، وبقي الشيخ متأسفا ظانا أن شفاعته ستقبل.

وبوصوله لتونس، استقبله الباي استقبالا حسنا وقال له : "أن شفاعتك مقبولة في علي بن غذاهم في الأمن على دمه، إلا أن الحال يقتضي ابقاءه بباردو آمنا على نفسه، لأن تسريحه والحالة هذه تتوقع منه هرجا، مازلنا في إطفاء ناره "،كما قدم له اعتذاره على فعلة باش حانبة وتسرعه وغلظه، كما عمد لتجهيز بابور لسفره، وبعودته استقبله وأكرم وفادته، وكان مجيئه أوائل جمادى الأولى 1283هـ /أواسط سبتمبر 1866م.

وقد اتخذ الناس موقفا سلبيا من الشيخ محمد العيد كونه آثر راحة نفسه، ولم يحترم من استجار به، حيث رأوا أنه كان من واجبه أخذ علي بن غذاهم معه خير من الإبقاء عليه في السجن الذي كان سبب موته، حيث أنه، وخوفا عليه من الفرار من السجن، عمد الباي عندما قرر التوجه إلى حلق الوادي مع أهله وخاصته للمصيف، إلى حمله معه من سجن باردو إلى سجن حلق الوادي[3].

---

[1] – عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق...، ص 21، 26.

[2] – **الشيخ محمد العيد**: وهو الخليفة الأول للإمام التماسيني ، ولد عام 1815م، تربى وسط عائلته حيث حفظ القرآن الكريم، وانتهل علوم التوحيد، والفقه، واللغة من العلماء المدرسين، والوافدين على الزاوية .خلف والده في مارس عام 1844. أخذته يد المنية عام 1875م . ينظر:السعيد ديدي ، **دليل الحائر إلى صور ومواقف من جهاد التجانيين في الجزائر**،مكتبة الريحان،ط1، الوادي، الجزائر، 1431 هـ/2010م، ص40.

[3] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج3، ج6، ص 69- 71.

ثانيا: العلاقات العسكرية :

لقد كانت للحملات العسكرية بين الجزائر وتونس العديد من الأسباب وتمثلت في معاناة بايات تونس من تصرفات دايات الجزائر، واتضح ذلك عند التجاء كل من محمد باي وأخيه علي باي إلى الجزائر بعد مقتل والدهما، حيث مكثا فيها مدة طويلة، وبعدها عادا إلى وطنهما وبالتالي أصبحت الجزائر تدين لهما بهذا الفضل[1].

وبعد وفاة علي باي وتربع ابنه حمودة باشا على العرش، أرادوا ربط علاقات معه مثلما كانت عليه زمن والده[2]، إلا أنه لم يكن يحتمل تصرفاتهم، هذا ما دفعه لإعلان الحرب ضدهم ، واستغل في ذلك العديد من الحيل والأسباب، فقد عمد إلى جلب حسن بن إسماعيل بن يونس باي وقتله، وكان ذلك في 19 ربيع الثاني 1214هـ /20 سبتمبر1799م، وذلك خوفا من قدومه لتونس فيلتف حوله الناس، هذا لكون الباشا علي باي شرده والده من جبل وسلات فالتجأ للجزائر، فبعث له من يتحيل عليه لجلبه، وهما محمد النوري البوبكري؛ باشا شاوش وحق الصبايحية التوانسة، وأحمد الوسلاتي السايس. كما كان ذلك بالتواطؤ مع الحاج محمد البرادعي وكيل الجزائر بتونس[3]، وأكرمه على وعد بعدم التدخل في السياسة[4]، إلا أنه كان يراسل أمه وتراسله وهي ابنة أحد أعيان الجزائر، حيث عثر له على مكتوب منه لبعض الأعيان بالجزائر ولم يقل شيئا في ذلك، وقد أمر حمودة باشا بخنق حسن بن إسماعيل، وذلك بعد تصرفه السيء مع " محمد بن مهنية"؛ أحد أحفاد بنت علي باشا لما كلمهم عن حسبهم.

كما أن حمودة باشا وبعد شعوره بالقدرة على دفع الظلم، أصبح يتحرى الأسباب لإعلان الحرب على الجزائر، حيث عمد إلى إزالة ما اعتادوه من الظلم ومنه أنهم يرسلون الأنعام لبيعها بتونس مع تحديد الثمن، مما ينجر عنه تعطل أهل البلاد (تونس) عن بيع أنعامهم حتى يباع ما جيء به من الجزائر أو قسنطينة، بالإضافة لاتهامهم أو ادعائهم أن الأنعام التي تموت في الطريق أنها سرقت منهم في أرض تونس، وبهذا ترتفع أسعارهم عن السعر المطلوب، بالإضافة لمطالبتهم بالعقوبة بمجرد الدعوى.

كما أن رسل الجزائر التي تنزل بباردو وبدار الضيوف بتونس تتصرف بعنف وظلم، حيث كان حمودة باشا "يتجرع الغصص ويجرعها لرعيته"، وهذا ما زاد في شكوى سكان تونس من ظلم الجزائريين لبايهم الذي كان رده بقوله: " لم أجد من أتحزم به منكم على دفع هذا الضيم"[5].

---

[1] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 37.

[2] – رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 412.

[3] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 38، ص 33- 34.

[4] – رشاد الإمام، المرجع نفسه، ص 420.

[5] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 34.

وعرفت العلاقات العسكرية بين الجزائر وتونس تصدعا منذ اعتلاء حمودة باشا عرش الإيالة، واتضح ذلك من خلال توجيهه حملة إلى ناحية تبسة، وتصدى له فيها باي قسنطينة صالح باي الذي طالبه قبل هاته الحملة بدفع تعويض مقابل ما ألحقه من أضرار للقبائل الحدودية بعد حملة قام بها جيشه في الأراضي الجزائرية، واستجاب لمطالبه، إلا أنه أعاد الكرة عام 1787م فوقع له مثلما جرى له في المرة الأولى[1].

ومما يثبت أيضا نية حمودة باشا في حربه للجزائر، هو إعادة الصلح مع الدانمارك بعد نقضه، حيث توسط في ذلك يوسف صاحب الطابع لكونه يعلم "عزم الباي على حرب الجزائر، وهو الأهم وقتئذ"، وكان الصلح في أكتوبر- نوفمبر 1801م[2].

1. محلة تونس نحو قسنطينة عام 1221هـ/ 1807م:

عندما بلغت العلاقات بين البلدين ذلك الحد من التوتر جمع حمودة باشا رجال دولته للتشاور فيما يجب اتخاذه حيال الجزائر فتوصلوا إلى إعلان القتال[3]، فكان سفر المحلة لقسنطينة يوم السبت منتصف ذي القعدة 1221هـ/ 24 جانفي 1807م[4]، وقد ضمت أبطال جنده، وأرسلها تحت رئاسة سليمان كاهية الأول[5]، بالإضافة للآغا أبي العباس أحمد الجزيري، ومعه علي بن الحاج مصطفى أنقليز، والكاتب الفقيه أبو عبد الله محمد المسعودي. وقد خرجت بالإضافة للجنود قبيلة دريد بنسائها وهذا لعادات العرب في أسفارهم، بالإضافة لإمداده بمحلة أخرى قادها أبي الربيع سليمان كاهية، وهو يومئذ آغا وحق باجة، ومعه الحاج مصطفى أنقليز بالإضافة لإمداده بفرقة متكونة من فرسان الأعراض لصالح عامله أبي العباس حميدة بن عياد، وكانوا كلهم تحت قيادة سليمان كاهية الأول[6].

وبوصولهم لقسنطينة، رموها بالقنابل، وطال الحصار بها نحو أربعة أشهر أشرفوا على الاستيلاء عليها[7]، حيث هرب باي قسنطينة حسن باي (1806- 1807م) إلى ناحية جميلة، هذا ما جعل محلة تونس تتقدم وتنزل مقابلة للبلاد[8]، فتحمل الأهالي مشاق الدفاع بكل بسالة وشجاعة إلى أن وصلتهم النجدة من مدينة

---

[1] – صالح عباد، المرجع السابق، ص 177.

[2] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 35.

[3] – رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 425.

[4] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 41.

[5] – السنوسي، المصدر السابق، ج1، ص 34.

[6] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 42.

[7] – خليل مروم بك، المرجع السابق، ج2، ص 260.

[8] – يحي بوعزيز، تاريخ قسنطينة...، ص 74.

الجزائر[1]، وتتمثل في عمارتين من فرسان وعسكر، حيث بعث بعمارة العسكر من ناحية البحر، وعمارة الفرسان من ناحية البر وأميرهما باشا آغا[2]. وتقابل الطرفان حيث دارت معركة عظيمة أدت إلى هزيمة جيش تونس بعد ثلاثة أيام، وكان ذلك يوم الأحد 25 صفر 1222هـ/ 3 ماي 1807م. ويقول ابن أبي الضياف في تلك الهزيمة "حتى كأن الهزيمة وقعت بتدبير"، حيث أرجعها لملل القوم من طول الحصار، خاصة فرسان دريد، بالإضافة للمناوشة التي وقعت بين الرعاع حيث فر منها العديد من الفرسان[3].

وهناك من يرجع الهزيمة لكون الكاهية سليمان رفع الحصار بمجرد وصول الإمداد من الجزائر، حيث تمركز في بومرزوق أين ألحقوا بهم هزيمة شنعاء[4]، كما وفر العديد من جند الترك من الجيش التونسي إلى الجيش الجزائري، الجزائري، واستولى الجزائريون على المعسكر التونسي، وكان يحتوي على عشرين مدفعا و ستة مدافع هاون وعدد كبير من الجمال[5]، وبقي العديد من أناس دريد بعائلاتهم، فأنزلهم باي قسنطينة أرضا تسمى الآن بحيرة دريد وأقاموا بها.

وقد كان استياء حمودة باشا من هذه الهزيمة مؤثرا جدا، تجلى ذلك في كونه سجن كل أعيان المحلة القادمين ما عدا سليمان كاهية أمير المحلة، وذلك لكونه كان قد خدم والده[6]. أما أحمد باشا (1805- 1808م) فقد كافأ كلاً من الباشا آغا، وباي قسنطينة بمكافأة تمثلت في عتاق من الخيل وهدايا نفيسة، وهذا لدورهما وحسن صنيعهما[7].

2. موقعة سلاطة عام 1222هـ/ 1807م:

بعد الانتصار الذي حققه الجزائريون، قرر حسن آغا والباي بعد استشارتهما للداي أحمد باشا مواصلة الزحف نحو تونس[8]، ووصل هذا الخبر لحمودة باشا فازداد خوفه، فهوّن عليه رجال دولته الخطب، حيث جهزوا من أموالهم ما يحتاجون إليه في المحلة[9]. وفي خضم ازدياد قوة الجزائريين من مدافع وخيل وإبل، ومن آلات محلة تونس، تونس، قرر الذهاب بنفسه على رأس جيش تونسي جديد، فلقي معارضة من مستشاره رجب بونمرة، طالبا منه

---

[1] – حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 167؛ أحمد توفيق المدني، عثمان داي الجزائر...، ص 56.

[2] – يحي بوعزيز، تاريخ قسنطينة...، ص 74.

[3] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 42.

[4] – عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 591.

[5] – أبو العيد دودو، **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1989م، ص 56.

[6] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 42- 43.

[7] – يحي بوعزيز، تاريخ قسنطينة...، ص 75.

[8] – أبو العيد دودو، المرجع نفسه، ص 56.

[9] – محمد بن محمد مخلوف، التتمة...، ص 168.

البقاء في تونس[1]. فعين الباي الوزير صاحب الطابع وأشار على أهل البلاد بإطاعته قائلا لهم: "من أطاعه فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني، هذه وصيتي إليكم".

وخرجت محلة صاحب الطابع يوم الجمعة 12 جوان 1807م ومعه كل من سليمان كاهية والحاج مصطفى أنقليز وابنه علي، بالإضافة لجماعة ممن اشتهروا بالفضل والصلاح.

وكان ملتقى الجمعين بمحل يعرف بسلاطة[2]، وكان ذلك يوم الاثنين 8 جمادى الأولى / 13 جويلية 1807م، وقد أبلى الجزائريون في هذه المعركة البلاء الحسن مما جعل الوزير يفضل الموت على رؤية حمودة باشا[3].

إلا أن التونسيين، وفي ظل عدم تتبع الجزائريين لأثرهم، استغربوا وبعثوا خيلا ليتطلعوا أخبارهم، فوجدوا المحلة على حالها، ومع اقترابهم منها، لم يجدوا شخصا، فبعثوا لصاحب الطابع بهروب الجزائريين وتركهم للمحلة على حالها، هذا ما جعلهم يرجعون ويأخذون محلة عدوهم من غير قتال ولا مواجهة[4].

وقد بعث صاحب الطابع لحمودة باشا يبشره بالانتصار، وخرجوا لتلقيه من أهل المجلس الشرعي وأعيان الدولة[5]، وكان رجوعها في 22 ربيع الأنور عام 1222هـ، حيث زينت البلاد، وأعلنت الأفراح وشعرت بأنها استعادت كرامتها وعزتها بعد إهانتها من طرف الجزائريين[6] .

وقد أرجع سبب هذا الانكسار لتعاون بعض الجزائريين مع التونسيين وتزويدهم بالأخبار التي تنفعهم في هاته الحرب[7]، بالإضافة لرجوع ولد صالح باي بمحلته وترك الآغا يقاتل بعسكره لوحده، وعندما وصله خبر هروبه، هروبه، ووجد نفسه وحيدا، ذهب إلى قسنطينة وترك المحلة بما حوته من الآلة الحربية والمدافع وغيرها[8].

أما فيما يتعلق بعساكر الجزائر الذين لم يستطيعوا الفرار. فقد عرض عليهم الباي الانضمام لعسكر تونس، أو إعادتهم لوطنهم، فوقع اختيارهم على رجوعهم لوطنهم، فما كان عليه إلا أن وجههم من ناحية البحر

---

[1] – رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 426- 427.

[2] – **سلاطة**: واد من فروع واد ملاق، ويمر بحيدرة التي تقع قرب الحدود الجزائرية. ينظر: السنوسي، المصدر السابق، ج1، ص 22.

[3] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 45- 47.

[4] – أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج الشريف...، ص 98.

[5] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 49.

[6] – السنوسي، المصدر نفسه، ج1، ص 35.

[7] – يحي بوعزيز، تاريخ قسنطينة...، ص 75- 76. الهامش.

[8] – أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج الشريف...، ص 97- 98.

مع معاملتهم معاملة حسنة، ونفس المراكب التي حملتهم تكفلت بإعادة عسكر تونس الذين أُخذوا في محلة قسنطينة، وكان وصولهم في شعبان 1222هـ / أكتوبر 1807م[1].

وفي نفس السنة، طلب أحمد باشا من أبو كابوس[2] بالتوجه نحو قسنطينة لمحاربة الجيش التونسي، فخرج من من وهران، إلا أنه غيّر رأيه، وأعلن عصيانه على حكومة الجزائر[3].

3. محاولة الجزائريين حرب تونس عام 1223هـ / 1808م:

وتحت وطأة الصدمة من هزيمة سلاطة، عين الداي أحمد باشا علي باي (1807- 1808م) أميرا على قسنطينة، وكلفه بمحاربة التونسيين بغية الانتقام منهم، حيث التزم بذلك مع شروعه في تحضير ما يلزمه[4]، وبعدها خرج الباشا آغا من الجزائر، وقصد قسنطينة الذي تلقاه بايها بعسكر وجنود كثيرة، واتفقا على المضي نحو تونس[5]، وفي عام 1223هـ / 1808م بلغ للباي أن الجزائريين قادمون لتونس، فما كان عليه إلا أن جهز محلة بها مائة خباء من العسكر والفرسان، ونصب على محلته الوزير يوسف صاحب الطابع، ومعه سليمان كاهية، وكان ذلك يوم الاثنين 19 ربيع الثاني / 13 جوان 1808م، إلا أن الجزائريين، لما تأكدوا من كثرة الجند، عادوا لبلدهم، ومع ذلك، بقي الوزير حتى تأكد من رجوعهم لبلادهم خوفا من أن تكون مكيدة فقط، وعاد دون وقوع حرب[6].

في حين تعود أسباب عدم وقوع هاته الحرب إلى تحريض الجنود وتذكيرهم بالهزيمة السابقة التي حصلت للباي حسين وجنوده، وكان هذا التحريض من طرف أحمد الشاوش، مما دفع بهم للاتفاق على التمرد والعصيان، وإحداث فوضى عارمة في المدينة أدت إلى مقتل باشا آغا وعلي باي[7].

كما تجدد النزاع التونسي– الجزائري في نفس العام، وذلك بمهاجمة الرايس حميدو للبحرية التونسية، نتيجة لتعرض الشرق الجزائري على عهد حسين بن صالح باي قسنطينة لهجوم من طرف جيش تونسي مؤلف من

---

[1] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 49.

[2] – **أبو كابوس**: تولى بايلك الغرب عام 1807م/ 1222هـ. للاستزادة ينظر: يحي بوعزيز، **وهران**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985م، ص 121.

[3] – مسلم بن عبد القادر الوهراني، **تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر**، تح وتق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ/ 1974م، ص 54.

[4] – يحي بوعزيز، تاريخ قسنطينة...، ص 76.

[5] – عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 591.

[6] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 50.

[7] – يحي بوعزيز، تاريخ قسنطينة...، ص 76- 77.

عشرين مقاتلاً ومجهز بالأسلحة والمدافع تحت قيادة حمودة باشا[1]، وقد تمكن الرايس حميدو من احتجاز كمية من البضائع التونسية في 11 رمضان 1225هـ / 10 أكتوبر 1810م عندما كانت الحرب بين الإيالتين حامية الوطيس[2].

4. حملة بحرية جزائرية عام 1226هـ / 1811م:

وقد كانت هاته الحملة على عهد الحاج علي باشا (1809- 1815م)، حيث عرفت العلاقات الجزائرية التونسية على عهده نزاعا بين الطرفين[3]، وخرج الرايس حميدو بالأسطول الجزائري الذي يتكون من ست سفن حربية وأربع قاذفات[4]، وبمجرد أن علم حمودة باشا بالحملة البحرية على تونس عمد إلى تجهيز أربعة عشر مركبا حربيا[5]، وشحنها بالجند وقادها القبطان محمد رايس المورالي، وكان خروجهم ليلة الثلاثاء 14 ربيع الثاني 1226هـ / 07 ماي 1811م، وبحكم أن أكثر رؤساء المراكب من الأرناؤوط أنفوا من تقديم المورالي عليهم، هذا ما جعلهم يخذلونه، فاعتمد على نفسه في الدفاع أمام أسطول الجزائر دون إعانته من طرف مراكبه، إلى أن حطمت سفينته فأخذه الجزائريون أسيرا[6]. وبعد فرار المراكب التونسية، لم تلتحق بها مراكب الجزائر بأمر من الرايس حميدو، حيث عادت لتونس، وعاتبهم بايهم[7]. ويقول بهذا الصدد ابن أبي الضياف : "(...) فأحضرهم وقبّح صنعهم، ونفاهم لقرى تونس مرموقين بعين احتقار ومذلة موسومين بخيانة"[8]، في حين عادت مراكب الجزائر الجزائر لبلادها، حيث فرح بهم حاكمها وأهداهم خلعا ذهبية[9].

وفي هاته الفترة، حاولت الدولة العثمانية إصلاح العلاقات بين الإيالتين، فبعثت برسول إلى الجزائر وهددتها باعتبارها عاصية إذا رفضت قبول الصلح، وهو ما دفع بالداي الحاج علي لإرسال مبعوث لتونس طالبا

---

[1] – حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ...، ص 52.

[2] – ألبير دوفال، **الرايس حميدو**، تع: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، ص 84.

[3] – نور الدين عبد القادر، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، دار الحضارة، الجزائر، 2007م، ص 123.

[4] – ألبير دوفال، المرجع نفسه، ص 85.

[5] – هناك مراجع تذكر أنه خرج بثلاثة عشر مركبا، في حين ترجعها مراجع أخرى إلى اثني عشر مركبا. ينظر: أحمد توفيق المدني، مذكرات الشريف...، ص 107؛ ألبير دوفال، المرجع نفسه، ص 85.

[6] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 51.

[7] – أحمد توفيق المدني، مذكرات الشريف...، ص 107.

[8] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 51.

[9] – أحمد توفيق المدني، مذكرات الشريف...، ص 107.

من حمودة باشا قبوله لدفع الضرائب كالعادة مع ربطه صلات حسنة وتخريب قصر الكاف، مع جعل فسطاط تونس لا يزيد عن النصف، إلا أن حمودة باشا رفض هاته الشروط[1].

وبعد هاته الواقعة، ظلت العلاقات مقطوعة بين البلدين وحالة الحرب مستمرة بينهما، إلى أن أتى الأسطول الحربي من الجزائر لمرسى حلق الوادي محاربا، وكان ذلك في 23 رجب 1227هـ / 23 جويلية 1812م[2] بقيادة الرايس حميدو. أما القوات البرية فكانت بإشراف آغا الجزائر ونعمان باي (1811-1814م)[3]، وأما الطرف التونسي بقيادة أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع، وفي عصمته مائة وخمسة وسبعون من السفن، تحتوي كل منها على مدفع أو مدفعين[4]، وقد اغتنم حمودة باشا ثورة باي وهران بوكابوس، واستعان بالفرنسيين في المدد بالأسلحة والذخيرة، وهو ما عرَّض الجزائريين لصعوبات عديدة[5]، فعادوا أدراجهم والخيبة تغمرهم بالإضافة لكونهم صاروا يقومون بأخذ مراكب التجار التوانسة، حيث أن مركبا جزائريا قام بالاستيلاء على مركب أبي محمد حسونة بن يوسف المورالي الذي كان يتخذه لكسب قوته، ولم يستطع الدفاع عنه، وقد حمله الجزائريون أسيرا. أما المركب فقد بعث به إلى الجزائر، وتمكن حسونة من فك أسره بإتقانه للغة الأنجليز، حيث احتاج الجزائريون للماء، والتقوا بسفينة أمريكية فطالبهم بالماء مقابل حريتهم كونه أسيرا لديهم، فأبى الجزائريون ذلك، إلا أن سفينة الأمريكان هددتهم بالحرب، وبالتالي أطلق سراحه[6].

هاته الحروب والنزاعات كانت على عهد حمودة باشا، وبوفاته ذهب المبشر ليخبر حاكم الجزائر بذلك فكان جوابه :" هل مات يوسف صاحب الطابع وسليمان كاهية، وهل تبدلت رجال دولته؟"، فأجابه بلا، فرد قائلا: " لم يقعد من تونس إلا شخصه، ولا يموت مثله، إلا إذا تبدلت رجاله الذين قارعنا بهم"[7]، وهذا ما يؤكد توتر العلاقات بين البلدين[8].

[1] – يحي بوعزيز، تاريخ قسنطينة...، ص 80. الهامش.

[2] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 58.

[3] – يحي بوعزيز، تاريخ قسنطينة...، ص 80.

[4] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص58.

[5] – يحي بوعزيز، تاريخ قسنطينة...، ص 80.

[6] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 58.

[7] – نفسه، مج2، ج3، ص 58 ، 88.

[8] – نفسه، مج2، ج3، ص 58.

5. حملة حلق الوادي نحو الجزائر عام 1236هـ/ 1821م:

لقد تمَّ على عهد أبي الثناء الباي محمود باشا عقد اتفاق بادر به داي الجزائر علي خوجة باشا (1817- 1818م)، حيث تم فيه الاعتراف باستقلال كل من الطرفين، وانتهى الخلاف المستمر بين قادة القطرين[1]، وبعث إلى تونس الحاج يوسف، من كبراء المماليك، وبصحبته العالم العلامة الشيخ علي بن النيكرو والباشا كاتب، وتم إكرامهم من طرف باي تونس ومنحوه مكاتيبهم[2]، ولقد كان نقض الجزائريين لهذا الصلح المنعقد عام (1232هـ / 1816- 1817م) بأخذهم لبعض مراكب تونس في رمضان 1235هـ / جوان- جويلية 1820م سببا في تصدع العلاقات الجزائرية التونسية، مما جعل التونسيين يجهزون حملة على الجزائر في الرابع من جمادى الأولى 1236هـ / 7 فيفري 1821م إلا أن رياحا هوجاء أعادتهم إلى حلق الوادي[3]، حيث تحطمت سفنهم عن آخرها. وبهذا استراح الناس من هذه الحرب[4]، بالإضافة لفقد التوانسة ما يزيد عن مائة وخمسة عشر شخصا، وضياع الأسطول بما فيه من مدافع وأسلحة، كما حصل لتونس مذلة أمام الجزائر[5].

[1] – نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 125؛ أحمد توفيق المدني، محمد عثمان...، ص 59.

[2] – أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج...، ص 138.

[3] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 134.

[4] – أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج...، ص 138.

[5] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 134.

الفصل الثالث: العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية من خلال إتحاف أهل الزمان

أولا: العلاقات الاجتماعية

1- الهجرة الجزائرية إلى تونس

2- علاقات الحنانشة والزواوة بتونس

ثانيا: العلاقات الاقتصادية

1- السلع والبضائع المتبادلة

2- الطرق التجارية

ثالثا: العلاقات الثقافية

1- زيارات العلماء واستفتاؤهم

2- الرحلة العلمية الجزائرية إلى تونس

3- دور الطرق الصوفية في التواصل

الفصل الثالث: العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية من خلال إتحاف أهل الزمان

أولا: العلاقات الاجتماعية

1. الهجرة الجزائرية إلى تونس:

هناك عدة عوامل ساهمت في تمتين التواصل بين القطرين الجزائري والتونسي كان على رأسها التواصل البشري، وما ينجر عنه من مزايا أخرى، وأهم عصب في هذا التواصل البشري هو الموجة الكبيرة من المهاجرين[1]. فالهجرة تُعرف على أنها حركة تنقل للأفراد والجماعات، وهي مرتبطة عادة بتغيير مكان الإقامة، وتكون فصلية أو مؤقتة أو نهائية بلا رجعة، حيث تبرز أهمية الهجرة في حياة المجتمعات من خلال التأثر والتأثير المتبادل[2].

وبالرغم من تعدد عوامل الهجرة الجزائرية، فإنها تتشابه في مجملها مع كل العشائر والطوائف الجزائرية مع تسجيل بعض من الخصوصيات فيما بينها، فللهجرة دوافع كثيرة منها[3]:

- السياسة الاستعمارية المطبقة في الجزائر، والمتمثلة في سياسة الإبادة والتشريد والنفي التي مارستها السلطات الاستعمارية منذ احتلالها للجزائر. فبتاريخ 15 جويلية 1830م، نظمت حملة قادها عساكر فرنسيون في أحياء القصبة والعاصمة لنهب وحرق وتقتيل السكان العزل، وكذا سياسة الاستيطان ومصادرة الأراضي، حيث لم يتبق للجزائريين من الأراضي المملوكة إلا جزء بسيط جدا متمركز في الجبال، إضافة للسياسة الضريبية ذات الطابع الاقتصادي، الهادفة لخدمة الاقتصاد الاستعماري من جهة، وتفقير الجزائريين من جهة ثانية.

- دور الدعاية العثمانية، حيث أوفدت الكثير من المبعوثين والدعاة إلى تونس لابعادهم عن نظر السلطات الفرنسية[4].

- دعاية المهاجرين الجزائريين الأوائل إلى تونس وغيرها، حيث كانوا يزينون لإخوانهم الإقامة، ويذكرونهم بمساوئ الحكم الاستعماري.

---

[1] – بوبكر حميدي، "التواصل الاجتماعي بين وادي سوف وتونس"، **الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1881-1954م**، يومي 10/ 11 نوفمبر 2013م، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الوادي، الجزائر،2013م، ص 1.

[2] – موسى بن موسى، "هجرة الجزائريين إلى تونس بين تلبية الحاجيات الاجتماعية وإحداث التكامل الثقافي في النصف الأول من القرن 14هـ/ 20م (وادي سوف نموذجا)"، الملتقى الدولي حول التواصل...، ص 1.

[3] – مختار هواري، "وضعية الجالية الميزابية بتونس خلال فترة الحماية الفرنسية عليها"، الملتقى الدولي حول التواصل...،ص 4.

[4] – جمال يحياوي، "دوافع الهجرة الجزائرية للخارج خلال القرن 19م، **أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال 1830– 1962م**"، المنعقد بفندق الأوراسي يومي 30– 31 أكتوبر 2006م، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص 44– 51.

- هدم المؤسسات الدينية والوقفية والثقافية وترسيم القوانين الفرنسية، حيث عمل الاستعمار الفرنسي منذ البداية على محو الشخصية الوطنية من خلال استبدال النظام القائم في الجزائر والمبني على الشريعة الإسلامية، وعلى العرف والتقاليد بمجموعة من القوانين والمراسيم الفرنسية[1].

وقد كانت الأراضي التونسية موطن استقرار للجزائريين بمختلف أصنافهم. يقول في ذلك بيرم الخامس في حديثه عن تعداد أقسام الأهالي في تونس: "(...) والسادس الجزائريون الذين رحلوا بعد استيلاء الفرنسيين على الجزائر"[2].

وشهدت تونس توافدا كبيرا عليها خاصة بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، منها: هجرة أعيان العاصمة، ومجموعات كبيرة من معسكر وتلمسان عام 1832م[3]، بالإضافة لتوجه العديد من سكان بوسعادة نحو تونس واتخاذها مستقرا وموطنا جديدا، ولم يرجعوا أبدا نظرا للضرائب المفروضة عليهم من طرف فرنسا منذ عام 1849م[4].

كما تعد تونس أهم ملجأ للمقاومين الجزائريين الهاربين والمنفيين واللاجئين، بالإضافة لكونها كانت أهم قاعدة للتمون والإستعداد ماديا وبشريا. حيث كانت السلطات الفرنسية كثيرا ما تنفي "المغضوب عليهم" إليها منذ بداية الاحتلال، ومنهم الخليفة أحمد بلحملاوي، شيخ الزاوية الرحمانية عام 1847م، وزعماء عائلتي أولاد ابن عاشور، وأولاد عز الدين في الزواغة وفرجيوة شمال قسنطينة عام 1860م، والشيخ عمر، شيخ الطريقة الرحمانية بجرجرة عام 1857م[5].

بالإضافة لانتقال قبائل بأكملها إلى تونس ما بين أعوام 1851م إلى 1870م قصد الاستقرار بها أو الارتحال منها إلى بلاد الشام فيما بعد، وذلك بعد استسلام الأمير عبد القادر إثر فشل مقاومته المسلحة. وقد كانت المناطق الجزائرية التي شهدت هذه الهجرة ابتداء بالعاصمة لتلحقها البليدة والمدية وقسنطينة ووهران وبجاية وتلمسان، بالإضافة للنواحي الشرقية من أبرزها هجرة أعيان عنابة واستقرارهم ببنزرت الساحلية، وكذا بعد سقوط وهران اتجهت العديد من الأسر نحو تونس. أما الهجرة الكبيرة من نواحي سطيف فكانت عقب مقاومة 1871م

[1] – خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 51- 52.

[2] – محمد بيرم الخامس، **صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار**،ج2، دار صادر، بيروت، 1303هـ، ص 119.

[3] – خير الدين شترة، المرجع نفسه، ص 88.

[4] – إبراهيم مياسي، **المقاومة الشعبية الجزائرية**، دار مدني، الجزائر، 2008م، ص 61.

[5] – يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا...،ج1، ص 367.

حيث توجهوا أفرادا وعائلات نحو جنوب تونس، ومنها أسرة المقراني[1]، وبوعكاز، وبنو إسحاق، وبنو عزوز، وأبناء زقوطة وغيرهم، كنتيجة لضغط السياسة الفرنسية المجحفة عليهم ورفضهم لها[2].

وكان استقرار سكان القبائل بشمال الإيالة أكثر من 1000 شخص، بالإضافة لـ 500 شخص آخرين ينتمون للقطاع القسنطيني. في حين استقر سكان العاصمة في مناطق الشمال الغربي لتونس، حيث أصبحت بنزرت مع تونس والمهدية من أكثر البلاد التونسية عمرانا بالجالية الجزائرية[3].

ومن المهاجرين إلى تونس، سليمان بن جلاب[4] ، وقد أكرمه المشير أحمد باشا باي، وأجرى له جراية مع معاملته معاملة تليق بمقامه، وفاءً له بما قدمه جده لجد الباي التونسي أيام غربته في الجزائر[5].

بالإضافة لوجود الجالية الميزابية والسوفية في تونس.وقد أشار ابن أبي الضياف لذلك من خلال ذكره لشيوع خبر المكتوب الذي بعثه القنصل شارل دو بوفال Charles De Beauval للباي محمد الصادق عن طريق سوافة وميزابيين في قوله: "(...) وشاع مضمون كتابه من رعايا دولته ممن لهم خلطة بعربان البلاد كأهل سوف[6] وبني ميزاب[7] "بالإضافة لإشارته لهم في قوله: "(...) وفشا الخبر في البلاد من أهل سوف والمزابية وغيرهم وغيرهم بأن قنصل الفرنسيين رق قلبه بالرحمة لحال هذه البلاد وفقرائها(...)"[8].

وكانت هجرة سكان وادي سوف إلى تونس قديمة، يمكن إرجاعها إلى القرن 18م، حتى أن تعداد السوافة في الأراضي التونسية عام 1868م ما بين 1500 و 2000 نسمة، وفي معظمهم كانوا طلبة لمواصلة تعليمهم

---

[1] – خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 88- 90.

[2] – احميدة عميراوي، علاقات بايلك...، ص 54.

[3] – خير الدين شترة، المرجع نفسه، ص 91.

[4] – **سليمان بن جلاب**: هو آخر سلاطين بني جلاب في تقرت حيث كان فراره لتونس عام 1854م. ينظر: يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر...، ص 322.

[5] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج4، ص 175.

[6] – **سوف**: تقع في الجنوب الشرقي من القطر الجزائري، يحدها شمالا بسكرة،وشرقا نقرين ونفطة، وجنوبا واحات طرابلس وغدامس بالقطر الليبي، وغربا وغربا تقرت. إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837- 1934م**، دار هومة، الجزائر، 2005م، ص 142.للاستزادة ينظر: عثمان زقب، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف1918– 1947م وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا**، رسالة ماجستير، مخ، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر، 2005 –2006م، ص 14- 15.

[7] – **ميزاب**: أو الشبكة تتشكل من سبع قرى: العطف؛ وهي أقدم مدينة يعود تاريخها إلى عام 1011م، بونورة 1046م، غرداية 1048م، مليكة في في القرن 14م، بني يزقن 1347م، بريان 1691،قرارة 1653م. ينظر: Jamel Haggui**, Les Algérien Originaires Du Sud dans la Ville de Tunis Pendant L'époque coloniale (1881- 1956) (Mozabites, Souafas et Ouarglias),** Sous la direction de lq prof Habib Kaz, Universitaire de Manouba, Tunisie, 2003/ 2004, P8.

[8] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج3، ج5، ص 116- 118.

في جامع الزيتونة، بالإضافة للمثقفين، كما لم يخلُ من طبقة العمال والتجار الصغار[1]، حيث لجأ أولاد الطيب بن عمران الشعانبي من الوادي، صاحب الشهرة الواسعة بسوف إلى تونس عام 1868م[2].

وقد شكل السوافة ثلث النزلاء بمدينة توزر، وفرضت قبيلة طرود، التي كان لها امتداد في وادي سوف، وجودها في إقليم مجردة السفلي منذ عام 1860م بأعداد تراوحت ما بين 240 إلى 250 فردا من أبنائها الذكور البالغين، بين أعوام (1856- 1860م). حيث كانت العاصمة تونس ممثلة لكل جهات سوف (تاغزوت، الزقم، كوينين، المصاعبة، طرود). وفي عام 1863م، وجد حوالي 6 سوافة في مدينة ماطر[3]، كما عُدّت الجالية الميزابية من غرداية والقرارة وبني يزقن من أكثر المهاجرين إلى تونس ويزداد عددهم بالعاصمة، وفي جربة. أما في غيرها، فنجد مثلا عام 1867م تسع عائلات ميزابية في سوسة[4]، وكان سبب تمركزهم في جربة لوجود عدد من أتباع المذهب الإباضي بها. ثم تمركزوا لاحقا بمدينة تونس. وقد ازدادت الهجرة الميزابية نحو تونس بعد احتلال الجزائر عام 1830م، وهنا لابدّ من الإشارة أنه ليس من الضروري بلوغ الاحتلال الفرنسي إلى وادي ميزاب عام 1853م لتتوسع الهجرة الميزابية. وكغيرهم من المهاجرين، دفعتهم نفس الأسباب تقريبا للهجرة نحو تونس، وذلك نظرا للمساس بأحوالهم الشخصية، هذا ما جعلهم يبحثون عن فضاء آخر للتعبير عن مواقفهم السياسية، بالإضافة لتأثرهم بالمنظومة الجبائية التي أرهقتهم، كونهم يمتهنون التجارة، خاصة المقيمين في المدن الشمالية.كما لعبت الظروف المناخية الصعبة في الجنوب والمتميزة بالجفاف، دورا في هجرتهم، بالإضافة لانتشار الأمراض وبؤس السكان[5].

- **أوضاع المهاجرين الجزائريين بتونس:**

لقد كانت حركة الأفراد والقبائل بين الحدود الجزائرية والتونسية طبيعية في العهد العثماني، حيث نظمتها اتفاقية عام 1628م؛ التي نصت على أن الولاء يصبح لصالح الإيالة التي يقيم فيها. ولكن، بعد الاحتلال، أُلغي العمل بها وصار الحصول على الرخصة من السلطة الفرنسية، حتى يكون لها حق الحماية هناك[6]، ويقول ابن أبي الضياف في ذلك "فصار الحكم على الوافدين متعسرا ولا بد من الوازع ضرورة (...) وذلك من لدن أخذ

---

[1] – عثمان زقب، "نماذج من سياسة التقييد والرقابة للإدارة الاستعمارية على التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1881-1954م (وادي سوف أنموذجا)"، الملتقى الدولي حول التواصل...، ص 1.

[2] – يحي بوعزيز، كفاح الجزائر...، ص 140.

[3] – عبد الكريم الماجري، **هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجواونة إلى تونس(1831–1937م) دراسة تاريخية لإشكالية الاستعمار والهجرة وتشكل الجاليات المغاربية بتونس وخصوصياتها الاجتماعية والقانونية**، الشركة التونسية، ط1، تونس، 2010م،ص 126. ينظر: بوبكر حميدي، المرجع السابق، ص 1.

[4] – يوسف بن بكير الحاج سعيد، **تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، ص 47.

[5] – مختار هواري، المرجع السابق، ص 4.

[6] – بوبكر حميدي، المرجع نفسه، ص 1.

الفرنسيس للجزائر سنة 1246هـ" وقد تطلب هذا الأمر تأسيس مجلس وقتي لمناقشة القضايا الواقعة بين الوافدين والتونسيين في ذي الحجة عام 1277هـ/ جويلية 1861م، حيث يباشر هذا المجلس سماع الدعوى وحجتها كما يصغي لإجابة المدعى عليه وحجته، وتلخيص ذلك في دفتر. ويقوم الباي بإمضاء ذلك بخطه وختمه، مع اعتبار السياسة مع الوافدين لأنهم بمنزلة الضيوف، بالإضافة لحفظ حقوقهم[1].

إلا أنه وبعد صدور القرار المشيخي في 14 جويلية 1865م، أصبح الجزائريون الذين يقيمون في تونس قبل عام 1830م، عليهم إثبات حجة بأصولهم الجزائرية لدى القنصلية الفرنسية؛ وصنف الجميع كرعايا فرنسيين ليستفيدوا من الحماية هناك[2]. ولقد انعكس هذا القرار سلباً على تونس، حيث كانت إجابة الباي عليه بأنه لا يقبل احتماء أحد من رعاياه بغيره في أي حال من الأحوال. إلا أنه، ورغم ذلك، فقد اتجه الكثير من رعايا تونس لطلب الحماية الأصلية ورفضهم للحماية التونسية وذلك بأن يشهد عليه رجلين أن جده من الجزائر أو عنابة أو غيرهما من مناطق الجزائر، فتصبح لديه الحماية. وقد نحى هذا المنحى الكثير من أهل الكاف، وذلك لكونهم محتكين بالجزائريين من خلال قرب سوق أهراس منهم[3].

وقد تلقى الباي محمد الصادق ضغوطا من فرنسا التي اعتبرت أن كل الجزائريين رعايا، سواءً في تونس أو في الجزائر، طالبة منه الاعتراف بالوضع الجديد. فما كان عليه إلا إصدار الأمر في سبتمبر 1865م يعتبر بموجبه الجزائريين رعايا فرنسيين. إلا أنه، وابتداءً من عام 1869م، تغير الوضع وطلب منهم تسجيل أنفسهم بالقنصلية للحصول على الجنسية الفرنسية[4].

وعرفت العلاقات الاجتماعية اضطرابا في بعض الأحيان، حيث صور لنا ابن أبي الضياف إحدى هاته الحالات التي كانت على عهد حسين باي، الذي أمر بشنق أحد الحمالين السوافة والطواف به في أسواق الحاضرة، وهذا بعد الادعاء عليه أنه حمل امرأة على حماره إلى دار نصراني[5].

- **النشاط المهني للجزائريين بتونس:**

اشتغل المهاجرون الجزائريون بالبلاد التونسية تحت ضغط الحاجة والحرمان والتشريد الذي واجههم في بلادهم قبل الهجرة.وبهذا، فقد تعددت نشاطات المهاجرين الجزائريين في تونس[6]. ووضح لنا صاحب الإتحاف

---

[1] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج3، ج5، ص 66- 67.

[2] – بوبكر حميدي، المرجع السابق،ص 1.

[3] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج3، ج6، ص 62- 63.

[4] – بوبكر حميدي، المرجع نفسه، ص 2.

[5] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج3، ج5، ص 84.

[6] - أحمد بن جابو، " المهاجرون الجزائريون في مناجم قفصة بتونس"، **مجلة المصادر**، ع 22، المركز الوطني للدراسات والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر نوفمبر 1954م،20 -21 أكتوبر2010م، ص 211.

إحدى هاته المهن التي تمثلت في نشاط الحمالة، حيث أنه، وفي شوال 1284هـ/ فيفري 1868م، عندما عزم الشيخ علي الساسي رجل الجريد وعامله على التوجه لحمام الأنف للتداوي، لاقى صعوبات في حمل الأثاث وإحضار القوت لمن معه في العسة، وذلك لأن أصحاب الحمالة كانوا من سوف،و رفضوا حملها إلا مقابل نقد الكراء[1]. كما وردت الإشارة إليهم بعبارة: "(...) ورجلا مسلما من أهل سوف من الحمالين بتونس"[2].

بالإضافة لممارستهم نشاط توزيع الماء أو ما كان يطلق عليه القرباجي[3]، وكانت هذه الحرفة صفة ملازمة للسوفي (Garbagie) وتعد مهنة عرفوها في موطنهم الأصلي واحترفوها هناك. ويبدو أن هذا النشاط مرتبط بالعمل الخيري أو ما يسمى بالسقاية، وهي عادة موجودة بالمجتمع الجزائري، ولازالت في بعض المناطق إلى اليوم، ولكن السوافة طوروها إلى نشاط مهني، يسترزقون منه بجلب الماء للسكان وسقايتهم[4].

بالإضافة لاشتغالهم في الحراسة، وتجلى ذلك من خلال قيام القنصل الفرنسي بتعيين جماعة من بني ميزاب وأهل سوف لحراسة القنصلية في الليل[5]، وذلك أثناء ثورة علي بن غذاهم عام 1864م، حيث ادعى المدعو: "الحاج علي بن عمر" أن أباه هو من تولى حراسة القنصلية العامة لفرنسا بتونس زمن هذه الانتفاضة، إلا أن هناك من يرى أن الذي تولى ذلك الأمر هو العروسي، الأخ الأكبر لعبد الجليل بن إبراهيم[6].

كما أن ومن الأنشطة المهنية التي مارسها المهاجرون الجزائريون، التجارة والحرف والصنائع والفلاحة، بالإضافة لكونهم حملوا معهم مهنهم الحرة من الخزف والنحت والحياكة[7].

2. علاقات الحنانشة والزواوة بتونس:

1.2.الحنانشة:

وهم من القبائل القوية التي تسكن معظم المناطق في جبال الأوراس وبعض المناطق الأخرى من غير الأوراس. وتتشكل من ثلاثة فروع رئيسية هي هوارة والهلالية وعرب بني سليم. وأصل القبيلة تعرف بأحرار الحنانشة، وأما بقية الفروع فتسمى بالحنانشة، وسميت كذلك نسبة للحلف أو الموطن. وقد كانت هذه القبيلة في معظم فروعها ثائرة على النظام العثماني، هذا ما أثر بشكل مباشر في العلاقات الاجتماعية بين الجزائر وتونس

---

[1] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج3،ج6، ص 107.

[2] – نفسه، مج3،ج5، ص 84.

[3] – **القرباجي**: مشتقة من لفظ قربة وجمعها قرب، وهو عمل يمتهنه المهاجرون السوافة في تونس، وذلك من خلال حمل الماء للتجمعات السكانية مقابل أجر زهيد. عثمان زقب، الأوضاع الاقتصادية...، ص230.

[4] – بوبكر حميدي، المرجع السابق، ص 7.

[5] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج3، ج5، ص 164.

[6] – مختار هواري، المرجع السابق، ص 3.

[7] – يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر...، ص 322.

كونها وبحكم موقعها المتداخل بين حدود البلدين ونفوذها الممتد من تبسة إلى سوق أهراس ودقمة وسلسلة كاف مسخوط وسلسلة الزعرورية وجبل تليس، تمكنت من فرض سيطرتها على تخوم البلدين، وبالتالي على قبائل وفروع من الغرب التونسي[1]. كما عملت قبيلة الحنانشة على تدعيم الجيش التونسي عندما كان يترأسها الماحي بن عثمان، بالإضافة لتهديدها بوضع نفسها تحت الحماية التونسية وذلك عند تعيين ابن رسغي قائدا عليها وتبعتها قبيلة النمامشة[2] في ذلك التصرف[3]. كما وعقدت هاتان القبيلتان تحالفا، هدفه محاربة بايات قسنطينة، مثلما حدث ضد الحاج أحمد باي عام 1828م[4].

وهذا ما دفع بحكام تونس للسعي في كسب ولاء مشائخ الحنانشة بعدة طرق اتبعوها، منها: تقديم الهدايا لهم في أوقات السلم، حيث كان أعيان الحنانشة يتحصلون حتى أواخر القرن 18م، مثل حكام الجزائر على عوائد وإحسانات تمثلت في مواد متنوعة كالسروج المطرزة والثياب الثمينة، حيث أن "شيخ الحنانشة كان له شأن عظيم. كان له سناجق وطبول، ويلبس القفطان. وأما سيرته مع سلطان تونس، فكانت بينهما الهدايا العظيمة والمودات الكبيرة"[5].

كما استغلت قبيلة الحنانشة موقعها الحدودي بين الجزائر وتونس، وتضارب مصالحها في عدم دفعها للضرائب إلى كلا النظامين التونسي والجزائري، وساعدها على ذلك أيضا عامل المصاهرة، خاصة مع بايات تونس، من ذلك أن الشيخ ابن منصر زوّج ابنته لعلي باي تونس[6].

2.2. الزواوة[7]:

وهم شكل من أشكال الجيش غير النظامي. وجاءت تسميتهم من إسم قبيلة بربرية تستوطن شرقي الجزائر في جبل يعرف باسمهم، واشتهرت هاته القبيلة بشدة البأس والشجاعة، وقد عُرف أفرادها في تونس كجنود في جيش البلاد منذ الفتح العثماني[8]. وتوجد تسمية زواوة في كل من تونس والجزائر، ففي تونس تطلق على جيوش مرتزقة أحدثها البايات المراديون منذ القرن 17م؛ وذلك إبعادا لخطر الإنكشارية عنهم، وأغلبهم وافدون من الجزائر

---

[1] – احميدة عميراوي، علاقات بايلك...، ص 25– 26.

[2] – **النمامشة:** تعد من القبائل القوية بالشرق الجزائري، امتد نفوذها إلى نقرين التابعة لدائرة بئر العاتر جنوب ولاية تبسة. ينظر: نفسه، ص 28.

[3] – صالح عباد، المرجع السابق، ص 210، 230.

[4] – احميدة عميراوي، علاقات بايلك...، ص 28.

[5] – فاطمة بن سلمان، المرجع السابق، ص 210.

[6] – احميدة عميراوي، علاقات بايلك...، ص 27.

[7] – **الزواوة:** سمو بالزواوة لكثرة جموعهم، إذ معنى زوى الشيء جمعه فهو زاو وأزوى جاء ومعه غيره، وقد اشتهروا في القرن 11هـ و 12هـ في تونس. ينظر: أبو يعلى الزواوي، **تاريخ الزواوة**، مرا وتع: سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة، ط1، الجزائر، 2005م، ص 108– 109.

[8] – بن بلغيث الشيباني، **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي (1859– 1882م)**، تق: عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس، صفاقس، تونس،1995م، ص 138.

وجانب منهم من الغرابة المستوطنين شمال البلاد التونسية. وأما في الجزائر، فتتمثل في القبيلة المستقرة في جرجرة ببلاد القبائل، وهي التي كوّن منها الفرنسيون جيش زواوة[1]. وقد كوّن منهم حمودة باشا الحسني حرسا شخصيا، كما منحهم أجرا وامتيازات مقابل حماية القصر والحصون[2]، بالإضافة لاعتماده عليهم في حملاته كخروج المحلة نحو طرابلس عام 1794م، متكونة من زواوة، وكذا الحملة الموجهة نحو الجزائر عام 1807م[3].

كما ازداد عددهم بالتخلي عن جيش الإنكشارية في أوائل القرن التاسع عشر، بالإضافة لازديادهم على عهد محمود باي الذي اعتنى بهم وجعل لهم مرتبا، محاولا الاعتماد عليهم بدل الإنكشارية[4]. ووضح لنا ابن أبي الضياف ذلك في مقولته: "واستكثر الباي محمود باشا من جند زواوة، وجعل لهم المرتب، واعتنى بشأنهم واعتضد بشوكتهم(...)"[5].

وكان ازدياد عددهم في تونس، وخاصة بعد احتلال الجزائر، ولم ينقطع قدومهم، حيث استمر لغاية حكم الصادق باي. إذ تشير رسالة من طرف وزير البحر إلى الوزير الأكبر عام 1282هـ/ 1865م، أن مركبا بحريا إيطاليا قدم من الجزائر، يوجد على متنه 170 مسلما من زواوة، قادمين لأجل العمل في تونس. وقد بلغ عددهم عام 1869م حوالي 8816 بين جنود وضباط. وقد اشتهروا بالشدة وقلة المرونة وعدم الطاعة المطلقة للأوامر منذ أن بدأ أحمد باي في تكوين الجيش النظامي. إذ شعروا بفقدان أهميتهم في البلاد، فقاموا بنوع من التمرد[6]، وكان ذلك في شوال 1265هـ/ أوت – سبتمبر 1849م، هذا ما دفع بباي تونس لإبعادهم عن الحراسة "لسوء أدبهم"[7]. وانتهج نهجه محمد باي حيث أبعدهم عن العمل العسكري، والحراسة بصفة نهائية، إلا أن الصادق باي باي أوكلهم عناية خاصة، وذلك لحاجته إليهم. إذ ظهرت هذه العناية ابتداءً من عام 1864م عندما لم يكفه جنده في القضاء على ثورة علي بن غذاهم 1864م راضخا لمطالبهم بمرتبات لأعوام ماضية.

وكان عسكر زواوة ينقسم إلى قسمين: أولهما التحق بالحراسة وسكن الثكنات مثل العسكر النظامي، ويتمتعون بالأجر والمؤونة. وثانيهما معفى من كل عمل وقت السلم، ويستقرون بمنازلهم ويدفعون ضريبة قدرها 15 ريال. ويستخدم المستقرون منهم في الحاضرة في قوة أمن المدن، وكان لباس عسكر الزواوة مدنيا، إذا ما استثنينا الضباط فإنهم يحصلون على برنوس أسود، كما كان لهم ديوان خاص للسهر على مطالبهم، ولهم دفاتر

[1] – احميدة عميراوي، علاقات بايلك ...، ص 68. الهامش.
[2] – بن بلغيث الشيباني، المرجع السابق، ص 138.
[3] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 45.
[4] – بن بلغيث الشيباني، المرجع نفسه، ص 138.
[5] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 121.
[6] – بن بلغيث الشيباني، المرجع نفسه، ص 139.
[7] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج4، ص 127.

خاصة لتسجيل أسمائهم، بالإضافة لميزانية خاصة كعناصر الجيش الأخرى. كما تمتعوا من الإعفاء من ضريبة المجبى باعتبارهم عسكراً، ولهم ضباط يديرون شؤونهم. وأكبر قائد لهم يحمل لقب باشا خوجة.

وكان انتشار الزواوة في أطراف تونس، وذلك لاهتمام الدولة بهم واعتمادها عليهم. وسعيا منها في كسبهم، عينت لرئاسة نقابة الأشراف في تونس شيخا من زواوة، وهو الشيخ العربي البشيري عام 1867م[1]، وذلك حتى يقنعهم بالرضا بالمرتب القليل مقابل العمل الكبير، فصار يضرب بهم المثل في تونس: "مثل عسكر زواوة، مقدمين في الشقا، مؤخرين في الراتب"، وفعلا، فقد ساهموا مساهمة كبيرة في حفظ أمن تونس.

إلا أن جماعة زواوة، وبرغم إكرامهم من دولة تونس، وذلك بإلحاقهم مباشرة لنظر الوزارة الكبرى، فإنهم لم يكفوا عن التمرد والمطالبة بحاجياتهم. حيث أنه في عام 1865م وقع تمرد حوالي 600 منهم، بعد عودتهم من إحدى المحلات، بالإضافة لسوء تصرفهم أثناء محلة عام 1281هـ/ 1864م بالاعتداء على الناس، وكثرة الهروب من العمل، بالإضافة للشكوى من تصرفاتهم في محلة عام 1282هـ/ 1866م.

ومع هذا، لم تستطع تونس الاستغناء عنهم، سواءً في الحراسة أو المحلات، خاصة في ظل ضعف الجيش النظامي وكثرة نفقاته وقلة فاعليته، هذا ما جعل تونس تغض الطرف عن أفعالهم، وما يقدم ضدهم من شكاوى. حيث كان لهم دور كبير في الحياة الاجتماعية لتونس كعنصر اعتمدت عليه في تلك الفترة[2].

كما لا يمكننا غض الطرف عن إشارة ابن أبي الضياف عن تواجد التوانسة بالجزائر، وذلك في خضم الهزيمة التي ألحقت بهم عام 1807م، فبقي أناس من دريد مع نسائهم وأبنائهم، احتوتهم محلة قسنطينة، ولم يقدروا على التخلص منهم، بل تركهم باي قسنطينة في أرضٍ تعرف ببحيرة دريد وتملكوا بها[3].

بالإضافة إلى لجوء التونسيين لأرض الجزائر، وذلك عندما فرّ إليها علي بن غذاهم مع إخوته، "فأجفلت عروش ونيفة إلى أطراف الجزائر"، وذلك بحكم قربها الجغرافي منهم[4].

[1] – وعلى عهد حمودة باشا (1782– 1814م) كان خوجة عسكر زواوة هو محمد الأصرم، وأصله من القيروان. وقد تقلد العديد من الخطط النبيهة، وكانت وفاته عام 1221هـ– 1806م. للاستزادة ينظر: أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج4، ج7، ص 51– 52.

[2] – بن بلغيث الشيباني، المرجع السابق، ص 139– 144.

[3] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 42.

[4] – نفسه، مج3، ج5، ص 176.

ثانيا: العلاقات الاقتصادية

1. السلع والبضائع المتبادلة:

شجع حمودة باشا ازدياد التعامل التجاري بين تونس والجزائر بالرغم من المشاحنات بين البلدين، حيث أنه، وبعد أن كانت تونس تستقبل بين الثماني والعشر قوافل تجارية سنويا من قسنطينة، أصبحت منذ سنة 1809م تستقبل ما يقارب ذلك العدد من القوافل شهريا لا سنويا[1].كما شجع صالح باي (1771-1792م) التجارة الخارجية، حيث تحولت قسنطينة إلى ملتقى للقوافل التجارية الكبرى القادمة من العديد من المناطق، ومنها تونس[2].

ومن صادرات الجزائر نحو تونس نجد:

- **الجلود:** كانت من المواد المصدرة نحو تونس، حيث صدر قرار بايلك قسنطينة عام 1793م القاضي ببناء مدابغ في عنابة تلبية لحاجات الأهالي من جهة، وتزويد تونس بحوالي 12 ألف جلد سنويا من جهة ثانية[3].

- **التبغ:** وتميز بنوعيته الجيدة، حيث عدُ من أرقى الأنواع في العالم، وكان يتواجد بقرب مدينة الجزائر ونواحي عنابة، حيث يصدر منه إلى تونس[4].

- **الشمع:** اهتم سكان الشرق الجزائري بجني الشموع في فصل الربيع من كل سنة، ويقومون بتصديرها إلى تونس، بالإضافة إلى أن مدينة القل تعد أكبر منتج لهذه المادة. ومما يدل على تصديرها لتونس، هو أن تجار فرنسا يشتكون من أن المنتجين يصدرون أجودها إلى الإيالة التونسية، وذلك لكون استيرادها انخفض في فرنسا نظرا لثورة عام 1789م وكانت تستعمل في الكنائس والأديرة، وبتخريبها نقص الاستيراد، وبالتالي فقد كانت تونس أقرب الأسواق، خاصة في ظل ارتفاع أسعارها مقارنة بأسعار الفرنسيين[5].

- **المنسوجات والأقمشة الحريرية:** تعتبر صناعة الحرير من أهم الصناعات في مدينة الجزائر، وقد كانت حمولات المراكب من الحرير تأتي من بيروت أو أزمير، فتصنع منها الأقمشة وغيرها من المواد الأخرى ثم

---

[1] – رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 319.

[2] – يحي بوعزيز، تاريخ قسنطينة...، ص 65. الهامش.

[3] – محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، ص 99.

[4] – نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 148؛ محمد العربي الزبيري، مدخل إلى تاريخ...، ص 126؛ صالح عباد، المرجع السابق، ص 336.

[5] – محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، ص 99- 100.

تصدر إلى تونس[1] على شكل منسوجات قطنية وحريرية وصوفية[2]. ويقول ابن أبي الضياف بأن "غالب ثياب أهلها شعارا ودثارا من غيرها"[3].

- **الأساور**: وكانت تصدر إلى تونس، حيث تصنع من قرون الجواميس، وجرت العادة أن تزين بها نساء العرب والقبائل أذرعتهن. وشكلت هذه الصناعة فرعا رئيسيا من فروع الصناعة في مدينة الجزائر[4].

- **المواشي والأغنام**: أصبحت بين عامي 1795- 1796م تفد على الباي التونسي من داي الجزائر أعداد وافرة من المواشي حتى يبيعها ويبعث بثمنها لداي الجزائر[5]. وقد توترت العلاقات بين البلدين في هذا الجانب، وذلك أن داي الجزائر بعث لبيع البقر في تونس مع تعيين ثمنه بأسلوب تعمد فيه الإِمْرَة، هذا ما أغاظ حمودة باشا.كما أن صاحب قسنطينة يبعث الأنعام لبيعها في تونس بثمن يحدده بنفسه[6].

بالإضافة لبضائع أخرى مصدرة من الجزائر نحو تونس، تمثلت في التمور الممتازة من وادي سوف، والقبعات المصنوعة من سعف النخيل، ونبات الفوه المعروف بعروق الصباغين القادم من تقرت، ويستعمل في الصباغة والأدوية[7].كما كان تجار قسنطينة يحملون إليها ريش النعام والتبر[8].

وعلى الرغم من نصب الدولة لحاجز على تجارة كل من تونس والمغرب الأقصى خلال فترة الاحتلال، ما جعل التجارة مع تونس ممنوعة، إلا أن ذلك زال عام 1853م، وتم استبداله بتعريفة جمركية في نفس السنة. وبتاريخ 17 جويلية 1867م، صدر قانون يسمح بدخول البضاعة التونسية دون حواجز[9].

وكان من البضائع المصدرة من تونس نحو الجزائر:

- **الأسلحة والذخيرة**: استورد الجزائريون كميات هائلة من البارود والحبوب[10]، وكانت ثروة تونس الحقيقية "ما يخرج من أرضها وتربتها الطيبة الخصبة بالنسبة لما جاورها"[11].

---

[1] – نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 278.

[2] – محمد بيرم الخامس، المصدر السابق،ج2، ص 120.

[3] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج4، ص 224.

[4] – نور الدين عبد القادر، المرجع نفسه، ص 277.

[5] – عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال**، منشورات تبر الزمان، ط5، تونس، 2012م، ص 194.

[6] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 40.

[7] – أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري...، ص 349– 350.

[8] – محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، ص 103.

[9] – يحي بوعزيز، **كتاب الجزائر**، مج8، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2010م، ص 493.

[10] – احميدة عميراوي، علاقات بايلك ...، ص 55.

[11] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج4، ص 224.

ومما يؤكد وجود علاقات اقتصادية بين البلدين، هو توجه أصحاب أحمد باي بأمر منه نحو تونس لشراء الحبوب نظرا لأسعارها المناسبة[1]. كما كان أهل سوف يمدون منطقة الأوراس بالأسلحة اللازمة بعد جلبها من منطقة الجريد، هذا ما دفع بالاحتلال الفرنسي إلى الاستيلاء على قوافل محملة بالأسلحة والذخائر بعد فرضهم الرقابة على المنطقة[2].

كما كان الحاج أحمد باي يجلب احتياطاته من الخيل والبغال والعتاد الحربي، كالذخيرة والمدافع والبنادق عن طريق تونس، بالإضافة لاستئجاره لليد العاملة التونسية المتخصصة[3].

بالإضافة لاستيراد الجزائر من تونس لمواد البزازة والعطور والأقمشة الحريرية والشالات والقطنيات الأوربية والحياك المنسوجة في منطقة الجريد[4]، والمصبرات والسكر والقهوة والورق والحديد[5].

- **الشاشيات:** يمارس صناعة القبعات الحمراء أو الشاشية عدد كبير في تونس، وهي ذائعة الصيت[6]. فقد كانت شاشيات الجزائر أقل جودة منها،إذ أن تونس تعتمد في صناعتها على أصواف اسبانيا[7].

ولم تكن صادرات تونس نحو الجزائر تمثل الشيء الكبير، فمن مصنوعاتها تصدر الشاشيات، كما تهتم بتصدير شيء يسير من نسيج جربة والجريد[8].

وقد عرفت التجارة الجزائرية مع الأقطار المغاربية نشاطا واسعا، إلا أن أكثر المبادلات كانت تتم بين الواحات الجزائرية والتونسية الواقعة في منطقة الجريد، فكانت الاتصالات مضمونة يوميا عن طريق القوافل، كما كانت القوافل ترحل يوميا من قسنطينة والواحات الجزائرية مثل وادي سوف وتقرت وورقلة، متجهة إلى المدن التونسية مثل: نفطة ومدينة تونس، وكذلك نحو غدامس بالجنوب الليبي[9].

---

[1] – يحي بوعزيز، ثورات الجزائر...، ج1، ص 73.

[2] – إبراهيم محمد الساسي العوامر، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تع: الجيلاني بن إبراهيم العوامر، دار ثالة، ط2، الجزائر، 2009م، ص 302. الهامش.

[3] – بوضرساية بوعزة، **الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة ومقاوم 1830– 1848م**، دار الحكمة، الجزائر، 2010م، ص 102. 102.

[4] – أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري...، ص 350.

[5] – احميدة عميراوي، **موضوعات من تاريخ الجزائر السياسي**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004م ، ص 54.

[6] – **أخبار وأمصار رحلة المشير إيفالد من تونس إلى طرابلس في سنة 1835م (مرورا بسليمان ونابل والحمامات وسوسة والمنستير والمهدية وصفاقس وقابس وجربة)**، تر وتع: منير الفندري، بيت الحكمة ، قرطاج، تونس، 1991م، ص 133.

[7] – صالح عباد، المرجع السابق، ص 337.

[8] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج4، ص 224.

[9] – أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري...، ص 349.

ومن العوامل التي تعمل على مقاربة العلاقات الاقتصادية بين البلدين، هو المدن القائمة على تخوم كل منهما. ومن أهم هذه المدن: الكاف التي كانت تمثل للجزائريين قبل تأسيس مدينة سوق أهراس سوقاً للتجارة وملجأ لكسب الثروة ومركزاً للتبادل التجاري[1]. بالإضافة لقسنطينة، فبحكم أنها تعد عاصمة الشرق الجزائري، وأكبر مدنه فهي تعتبر أكبر أسواق المنطقة في ذلك الحين، يؤمها التجار من جميع النواحي، ويجلبون إليها كثيرا من منتوجاتهم الضرورية لتغذية سكانها، ويحملون منها صناعات أخرى تدر عليهم بربح أكبر[2].

كما يعد ميناء قابس متنفسا حقيقيا لمنطقة سوف للتموين بالسلع الأوربية، وذلك لقرب المسافة الجغرافية نسبيا، وأيضا سهولة المسالك مقارنة بالأراضي الجزائرية نحو الساحل، ويشمل ذلك السكر والقهوة والتوابل والشاي[3].

2. الطرق التجارية:

لقد اعتبرت المواصلات شرياناً لربط العلاقات الاقتصادية بين الأسواق الرئيسية التي تنطلق منها القوافل، والمتمثلة في قسنطينة والوادي وتقرت وورقلة، والأسواق المقابلة لها في تونس. وكانت منظمة تنظيميا دقيقا، حيث أن التاجر يجد يوميا قافلة يسافر معها ذهابا وإيابا. أما الطرق الرئيسية الرابطة بين البلدين فهي:

- طريق تونس الذي يبدأ من مدينة قسنطينة ويسير نحو الجنوب قليلا، مارا بالخروب، ثم يرتفع نحو الشمال الشرقي ويشق كثيرا من القرى أهمها وادي زناتي ومجاز عمر وسوق أهراس، قبل أن يصل إلى مدينة الكاف التونسية، ومنها إلى عاصمة الإيالة.

- طريق قفصة ونفطة الذي يبدأ من مدينة الوادي، ثم يسير شمالا نحو محطة قمار، حيث ينقسم فيخرج منه فرع يتجه مباشرة نحو نفطة، في حين يواصل الأصل نحو الشمال الشرقي في قرية فرن، حيث ينضم تجار الزيبان إلى القافلة، وبعدها يميل أكثر نحو الشرق ليقف في مدينة قفصة.
- طريق نفطة وغدامس الذي ينطلق من تقرت متجها نحو الشمال، ليمر بمحطة الفيض، حيث ينضم تجار بسكرة إلى القافلة، وبعدها يعود نحو الجنوب الشرقي ليصل إلى كوينين، ومنها يأخذ اتجاهين أساسيين أحدهما شمالا نحو مدينة نفطة مباشرة، وثانيهما نحو الجنوب إلى سوق غدامس مرورا بمحلة بئر الجديد.
- طريق غدامس الذي يخرج من ورقلة ويتوجه مباشرة نحو الشرق عبر الفيافي، إلى أن يصل إلى مدينة غدامس[4].

[1] – احميدة عميراوي، علاقات بايلك...، ص 53.

[2] – محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، ص 152– 153.

[3] – عثمان زقب، نماذج من سياسة...، ص 2.

[4] – محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، ص 152– 157. ينظر كذلك الملحق رقم: 03.

- بالإضافة للطريق القطري الشرقي، ويربط وادي ميزاب بمدن الأغواط وبوسعادة وقسنطينة والكاف[1].

كما كان يوجد رحلات بحرية تتم بين المدن الساحلية المغاربية، مثل مدينة الجزائر وتونس. يقوم التجار خلالها ببيع وشراء السلع المختلفة[2].

وتنقل السلع والبضائع عن طريق السكك الحديدية الرابطة بين الجزائر وتونس، ومنها الخط الشرقي الممتد من العاصمة إلى الحد التونسي[3].

كما قام باي تونس محمد الصادق باشا بمد خط الحديد المعروف بالتلغراف ما بين تونس والجزائر[4]. وقد سهلت الطرق الحديدية المارة إلى الجزائر التجارة إلى الجهات الأخرى، بحكم أن السفن كانت قليلة لأهل جربة وصفاقس والساحل[5].

أما فيما يتعلق بوسائل النقل المستعملة، فهي تختلف من مكان لآخر، ففي التل يستعمل التجار الجمال والبغال للسلع، والخيل للأشخاص؛ وفي الصحراء يستعملون الجمال والحمير المصرية لهما معا.كما كان يوجد طريقتان مشهورتان للقيام بعملية النقل، أولهما: القافلة التي تضم مجموعة متعددة من التجار الذين لا تربط بينهم سوى مصلحة الطريق، وثانيهما وهي النجع أو القبيلة السيارة التي تنتقل بكاملها، ولذلك فهي أبطأ من الأولى إلا أنها مضمونة بصورة أكبر بالنسبة للتجار[6].

وكان تواصلهم يتم عن طريق فرق من تجار القطر يسمون بالحمّارة، حيث تكون لهم دواب وافرة ويتصفون بالعرض والأمان.حيث يقوم التجار بتسليم البضائع لهم، وهم بدورهم يبلغونها إلى جهاتها. ولكل جهة حمّارون مخصصون، ولا يكون ذلك إلا بين البلدان[7].

وللقيام بهذه الرحلات المنظمة، استعان تجار قسنطينة بجماعة من المحترفين اليهود لتعيير بعض السلع مع تحديد أسعارها في البيع والشراء[8]. وقد كانت القوافل تتعرض في مسيرتها لبعض من الصعوبات: مثل العوائق

[1] – يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر...، ص 411.

[2] – أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري...، ص 35.

[3] – يحي بوعزيز، كتاب الجزائر...، مج8، ص 493.

[4] – ممتدا من حلق الوادي إلى حدود الجزائر من جهة سوق أهراس، بشرط مروره على حاضرة تونس وباردو وباجة والكاف. ينظر: محمد بن الخوجة، صفحات ...، ص 159؛ أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج3، ج5، ص 22.

[5] – محمد بيرم الخامس، المصدر السابق،ج2، ص 120.

[6] – محمد العربي الزبيري، مدخل إلى تاريخ...، ص 142.

[7] – محمد بيرم الخامس، المصدر نفسه، ج2، ص 120.

[8] – محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، ص 153.

الطبيعية المتمثلة في الكثبان الرملية المتنقلة مما يصعب التنقل، بالإضافة لعدم توفر الماء[1]، فيحصلون عليه مرة في ثلاثة أيام من المسير، بالإضافة لتعرضهم لكمائن ينصبها سكان واحة غدامس من حين لآخر لنهبها، تنكيلا بأبناء سوف الذين كانوا يغيرون عليهم.

أما فيما يخص طرق التبادل التجاري، فقد كانت المقايضة هي الطريقة الفعالة في القيام بعمليات التبادل في تلك الأسواق[2]. ومما تجدر الإشارة إليه، هو وجود عملات تونسية متداولة في الجزائر، مثل السلطاني التونسي والفلس أو الأسبر القفصي التونسي. وكان انتشار العملة التونسية بالجهة الشرقية من الجزائر[3].

كما يوجد الريال التونسي[4] الذي سيطر على التعامل النقدي بالشرق الجزائري منذ أن رفعت قيمته خاصة خلال حكم حسين باي وخلفه مصطفى باي بزيادة وزنه فضة، فصارت قدرته الشرائية 85% بعد أن كانت 60%[5]. بالإضافة للتعامل بالبياستر التونسي في التعاملات التجارية بين البلدين، حيث كانت الجزائر تستعمل هذه العملة[6].

واعتمدت المداولات النقدية بميزاب العملة التونسية أيضا. وقد جاء في دفتر الحاج أبي بكر "الحمد لله وحده وقد أقر موسى بن محمد بن موسى بأنه وصله من عند أبي بكر بن باب بن إبراهيم سبعون ريالة سكة تونس من قبل ابنه باب"، وكان ذلك بتاريخ أوائل ربيع الأول عام 1255هـ/ 1839م.

وكانت العملة التونسية تحمل في القوافل القادمة من تونس، واتضح ذلك من خلال معاملة أخرى للحاج أبي بكر تعود لنفس التاريخ "وأقر باب بن عيسى بن جلول بأنه وصله من عند أبي بكر بن باب بن إبراهيم ست وعشرون ريالة وربع سكة تونس (...) وجاء بها أبو بكر من تونس ودفعها له وبرئت ذمته منها"[7].

---

[1] – الحسن الوزان، **وصف أفريقيا**، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1983م، ص 76.

[2] – محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، ص 154– 158.

[3] – صالح عباد، المرجع السابق، ص 345.

[4] – **الريال التونسي**: بلغت قيمته في نهاية القرن 18م كما تبينه إحدى الوثائق المحلية أنه يساوي تقريبا القرش العثماني. ينظر: بالحاج ناصر، "جوانب "جوانب من المعاملات المالية بوادي ميزاب في القرنين 18– 19 الميلاديين من خلال دفاتر بعض التجار"، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12– 13هـ/ 24– 25 جانفي 2012م، مطبعة منصور، 2012م، ص 254.

[5] – احميدة عميراوي، علاقات بايلك...، ص 35. الهامش.

[6] – محمد العربي الزبيري، مدخل إلى تاريخ...، ص 52.

[7] – بالحاج ناصر، المرجع نفسه، ص 254.

ثالثا: العلاقات الثقافية

1. زيارات العلماء واستفتاؤهم:

شهدت العلاقات الثقافية بين الجزائر وتونس تنوعا كبيرا، حيث كانت تونس معبرا للجزائريين سواء لطلب العلم، أو مرورا للبقاع المقدسة وغيرها، ومن ذلك قدوم أبي عبد الله محمد بن أحمد التجاني[1]، وذلك في اجتيازه لزيارة بيت الله، وكان ذلك على عهد أبي عبد الله حسين باشا وكان نزوله بدار العلامة أبي إسحاق إبراهيم الرياحي، وقد أكرم الباي نزله رغم عدم اجتماعه به. وبعد مجيئه من الحج، رجع إلى تونس[2]، ولما علم داي الجزائر بخبره، راسل باي تونس طالبا منه اعتقاله بتونس أو إرساله إلى الجزائر، لأنه كان يتربص به، لكن حسين باي رفض ذلك، وسهل وصول الزعيم التجاني إلى مركزه بعين ماضي[3]، وذلك بارسال عقد من الخيل معه، وإعطاء أوامره لكل من أعيان الهمامة وقفصة والجريد وغيرهم ممن يمر بهم بمعاملته بإجلال وإكرام، وكان ذلك عام 1240هـ/ 1825م[4].

---

[1] – **أحمد التجاني**: هو العارف بالله أبو العباس الشيخ سيدي أحمد التجاني محمد بن المختار الشريف الحسيني شيخ الطريقة التجانية. وأحد أئمة المذهب المالكي ومجتهديه في القرن 12هـ/ 18م. ولد بعين ماضي ولاية الأغواط عام 1150هـ/ 1737م من بيت علم وشرف. حفظ القرآن الكريم، وعمره لا يتجاوز 7 سنوات. وفي عام 1186هـ/ 1772م، ذهب للحج وبعدها قصد تونس، وأقام بها مدة فأفاد واستفاد، وكان يدرس بها الحكم العطائية. ولما علم أمير بلد تونس بوجود هذا العالم الجزائري، طلب منه أن يقيم بتونس لتدريس العلم والقيام بنشر الدين، إلا أن الشيخ امتنع وخرج خفية من تونس، وقد وافته المنية يوم الخميس 17 شوال 1230هـ/ 21 سبتمبر 1815م. السعيد عقبة، "الزاوية التجانية بتماسين ودورها الاجتماعي بالمنطقة"، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية...، ص155 الهامش. وللاستزادة أيضا ينظر: أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، حققها ووضع فهارسها: الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، ج1، الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس (4)، ص 193– 196؛ عبد الرحمان طالب، **الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه ومنهجياته في التفسير والفتوى والتربية**، وهران، الجزائر، 2004م، ص 6– 7؛ محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تق وتح: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981م، ص 79؛ التجيني بن عيسى، **معجم أعلام تلمسان**، كنوز للنشر والتوزيع، تلمسان، الجزائر، 2011م،ص 75.

[2] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص 156.

[3] – حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ...، ص 53.

[4] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج2، ج3، ص 157.

كما أنه، وفي إطار ربط أواصر العلاقات الثقافية، قدم الشيخ أبو إسحاق إبراهيم الرياحي إلى تماسين لزيارة الحاج علي التماسيني[1]، وذلك بعد أن وفد عليهم في تونس عام 1238هـ المقدم التجاني الكبير الطاهر بن عبد الصادق القماري[2]، وكان مجيئه لتماسين عام 1241هـ/ 1826م[3].

كان الناس يستفتون إبراهيم الرياحي في جنوب الصحراء والشرق الجزائري، وقد وضح لنا الشيخ العوامر مسألة تواصل أهل سوف مع علماء تونس من أجل الفتوى، حيث اسْتُفْتِيَ الشيخ إبراهيم الرياحي عام 1255هـ/ 1839م حول الخلاف في مسألة استرداد أرض بعد بيعها بين متخاصمين، أحدهما من قمار والآخر من تغزوت المجاورة، والمغزى من هذه الفتوى هو تفتح أهل سوف على تونس في المسائل المتعلقة بأمور دينهم ودنياهم، وحرصهم على مشورة أهل الفضل. وقد ورد جواب هاته الفتوى في أواخر 1256هـ/ 1840م[4]، بالإضافة لاستفتاء الشيخ أبي الفداء إسماعيل التميمي من حاضرة قسنطينة والجزائر، حيث كانت إجابته ترد عليهم بالكتابة[5].

كما عمد الأمير عبد القادر، وبحكم اعتماده على مبدأ الشورى، إلى إنشاء مجلس شورى يستفتى فيه العلماء من خارج الجزائر كعلماء الزيتونة[6]، وما يثبت على تمتين العلاقات الثقافية، هو الاستقبال الذي خُص به الأمير عبد القادر أثناء مروره بتونس وهو في طريقه لأداء فريضة الحج، وكان ذلك في شعبان 1230هـ/ مارس 1825م مع بعض أفراد أسرته، حيث أقام بها 11 يوما أكرمه فيها علماء التدريس وخاصة العلامة أحمد المازري[7].

---

[1] – **الحاج علي التماسيني**: هو العارف بالله سيدي الحاج علي التماسيني، ولد عام 1180هـ/ 1766م وتربى في أحضان والديه، فحفظ القرآن الكريم وهو طفل، ونشأ على مكارم الأخلاق، فتوجه إلى التفقه في الدين ودراسة العلوم الشرعية. وفي سنة 1204هـ/ 1789م، كان أول لقاء مع شيخه سيدي أحمد التجاني، وفي عام 1217هـ/ 1803م، أمره ببناء زاوية جديدة بتملاحت حيث أتمها سنة 1220هـ/ 1805م. وقبل وفاة الشيخ سيدي أحمد التجاني بثلاثة أيام نصبه على رأس الطريقة خليفة له. التحق بالرفيق الأعلى يوم الثلاثاء 22 صفر 1260هـ/ 12 مارس 1844م. السعيد عقبة، المرجع السابق، ص155. الهامش. وللاستزادة ينظر: محمود بن المطماطية، **غرائب البراهين في مناقب صاحب تماسين**، كتابة علي غريسي، ص 16،21،66؛ الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص 282– 286 .

[2] – عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه**، دار الوليد، الوادي، الجزائر، ص 150.

[3] – محمد محفوظ، المرجع السابق، ج2، ص 389.

[4] – العوامر، المصدر السابق، ص 291– 292.

[5] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج4، ج8، ص 12.

[6] – سلسة المشاريع الوطنية للبحث، **العدوان الفرنسي على الجزائر**– الخلفيات والأبعاد–، منشورات المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، ص 171.

[7] – الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص 107؛ ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير...، ص 156.

ومما يؤكد عملية الاستفتاء من طرف علماء تونس هو توجه سلطات الاحتلال الفرنسي بالجزائر إلى إيفاد ليون روش[1] Léon Roches إلى القيروان عام 1841م طالبا من علمائها فتوى تتضمن عدم جدوى مواصلة الجزائريين لمقاومتهم ضد الاحتلال الفرنسي، وهذا نظرا لقوة المقاومة الجزائرية آنذاك، فارتأت فرنسا إقناع المقاومين بالاستسلام بفتوى من القيروان، إلا أن المقاومة ظلت مستمرة[2].

بالإضافة لقدوم أبي عبد الله الشيخ محمد العيد ابن الولي أبي الحسن الحاج علي التماسيني إلى تونس في طريقه إلى حج بيت الله الحرام، وكان ذلك على أيام أبي عبد الله محمد باي حيث زاره في محلته، فأغدق الباي بإكرامه وبعث له عقدا من الخيل لتلقيه[3].

2. الرحلة العلمية الجزائرية إلى تونس:

لا يختلف اثنان في القول بأن العلاقات الجزائرية التونسية من الناحية الثقافية تميزت عبر التاريخ بالمتانة والاستمرارية، وذلك بفضل تظافر مجموعة من المعطيات ولعل أهمها العاملان: الحضاري والجغرافي[4]. وبهدف إبراز جانب من العلاقات الثقافية، نسلط الضوء على الرحلة العلمية الجزائرية نحو تونس خلال فترتنا المدروسة، حيث تجلى الاهتمام بالطلبة من طرف بايات تونس من خلال المنشور الصادر في شوال 1379هـ/ مارس – أفريل 1863م الذي ينص على إسقاط الأداء المعروف بالإعانة عن الطلبة المهاجرين من أوطانهم لطلب العلم الشريف بالحاضرة[5]. ومن الطلبة نذكر:

- الأفضلي (1120- 1223هـ/ 1708- 1808م): هو أبو زكريا يحي بن صالح الأفضلي، ولد في بني يزقن وهو من علمائها، وكان تعلمه على يد علماء جربة، حيث أخذ عليهم علوم العربية والدين، ونبغ فيها فاستوطنها حوالي 12 سنة، ثم عاد إلى وطنه واشتغل بالتدريس إلى أن توفي[6].

---

[1] – **ليون روش**: أصله من غرونبل Grenoble من أرض فرنسا. ولد عام 1224هـ/ 1809م، وسافر إلى الجزائر عام 1247هـ/ 1832م والتحق بخدمة الأمير عبد القادر عام 1837م وتولى قنصلية كل من تونس وطنجة واليابان. وكانت وفاته عام 1319هـ/ 1901م. ينظر: ليون روش، **اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام مذكرات ليون روش عن رحلته إلى الحجاز**، ج1، تر وتق وتع: محمد خير محمود البقاعي، جداول، ط1، لبنان، 2011م، ص 12- 14.

[2] – العوامر، المصدر السابق، ص 290.

[3] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج3، ج6، ص 70.

[4] – علي بن حراث، "أسباب تركيز الرحلة العلمية الجزائرية على تونس"، الملتقى الدولي حول التواصل...، ص2.

[5] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، مج3، ج5، ص 96.

[6] – عمار هلال، **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين (13/ 14هـ)**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2010م، ص 58؛ عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**،مؤسسة نويهض الثقافية،ط2، بيروت، لبنان،1400هـ/ 1980م، ص 22؛ محمد علي دبوز، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج1، مطبوعات الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م، ص 258.

- الرحموني (1152- 1242هـ/ 1739- 1826م): هو محمد الصالح بن سليمان بن محمد بن محمد بن أبي القاسم الطالب الرحموني العيسوي الزواوي، يعود نسبه إلى أولاد رحمون من شرفاء العش من بلد أمشدالة، وقد وجد بخطه أنه قرأ وأجيز في جامع الزيتونة بتونس، وبرجوعه لبلده، اشتغل بالتدريس في جبل بني عيسى، ثم في جبل جرجرة[1].

- محمد بن عيسى الجزائري (1243- 1310هـ/ 1828- 1892م): وهو كاتب من الكتاب البلغاء، عارف باللغة العربية وعلومها وبالتفسير. ولد ونشأ وتعلم بمدينة الجزائر، ثم انتقل بعدها لتونس عام 1272هـ، وتولى فيها رئاسة الكتابة العامة بالوزارة الكبرى عام 1276هـ، وبعدها خطة الإنشاء عام 1302هـ وانقطع إلى العلم حتى وافته المنية[2].

- المقايسي (ت 1245هـ/ 1829م): هو حمودة بن محمد بن حمودة بن عيسى الشريف الجزائري المعروف بالمقايسي، وقد مر بتونس وأقرأ أهلها، فطلبوا منه الجلوس هناك، إلا أنه أراد العودة للجزائر[3].

- الشيخ الحاج سعيد بن يوسف وينتن (ت 1226هـ/ 1879م): هو من شيوخ بني يزقن المعروف بالحاج سعيد أن بافو. ويعد من أوائل من سافر من ميزاب نحو تونس، للاستزادة بالعلم. ولما أخذ قسطه من المعرفة في تونس وجربة، رجع منها حوالي عام 1287هـ/ 1870م وتولى التدريس في ميزاب، حيث ساهم في إنعاش النهضة الحديثة[4].

- أحمد العوادي (ت 1243هـ/ 1828م): وهو الشيخ أبو العباس أحمد العوادي، من أحد عروش قسنطينة، هاجر لطلب العلم في تونس، فأخذ عن أعلامها، ودرس بالجامع الأعظم. اختاره الوزير أبو المحاسن يوسف صاحب الطابع للتدريس بجامعه[5].

- الخيراني (ت 1307هـ/ 1890م): هو قاسم بن محمد بن علي الجزائري ثم التونسي، ونسب إليها لأنه مكث مدة طويلة بها، وكان اهتمامه منصبا على العديد من علوم عصره، فكان متكلما وناظما وعارفا بالفقه. ومن آثاره العقيدة القاسمية.

---

[1] – عمار هلال، العلماء الجزائريون...، ص 58؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص 146.

[2] – عادل نويهض، المرجع نفسه، ص 112؛ محمد صالح الجابري، **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900– 1962م**، الشركة الوطنية، الجزائر، 1983م، ص 29. عمار هلال، العلماء الجزائريون...، ص 60.

[3] _ أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري...، ص 478. للاستزادة ينظر: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1830– 1954)**، ج2، دار عالم المعرفة، طبعة خاصة، الجزائر،2011م، ص 37.

[4] – يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص 106.

[5] – أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج4، ج7، ص 151.

- الطولقي (1246- 1309هـ/ 1830- 1891م): هو الحسين بن علي بن عمر الطولقي من أهل طولقة ببسكرة، وهو فقيه مالكي صوفي، مهتم ببعض علوم عصره، سكن تونس وتوفي بها[1].

وهناك بعض الفقهاء والقضاة الجزائريين، الذين عاشوا خلال القرن التاسع عشر، وتعلموا في الزيتونة بتونس، ثم عادوا لوطنهم وقضوا بقية حياتهم متصدرين للتدريس والقضاء، منهم:

مصطفى الشاوش القسنطيني[2] وأحمد بن سعيد العباسي المعروف بأبي العباس المتوفَّى عام 1252هـ/ 1836م والراشدي الحبيب بن محمد (ت. 1285هـ/ 1868م) والإغريسي أحمد بن محمد بن عبد القادر (1252هـ- 1836م/ 1307هـ- 1889م). وقد كانت إقامة هؤلاء هناك، مهما كان قصر المدة أو طولها، عاملا هاما في ربط الصلات بين الجزائر وتونس، ومد جسر ثقافي علمي وبالتالي سياسي بين القطرين، وذلك من خلال توجه تلاميذهم وطلابهم نحو المراكز الثقافية بتونس، وخصوصا جامعة الزيتونة، فيتكونون فيها ويعودون لبلادهم[3].

- محمد المكي بن عزوز (1280- 1334هـ/ 1854- 1915م): أصله من قرية البرج من قرى بسكرة. ولد بنفطة ودرس على علماء الجريد، كما أخذ من أعيان أعلام الشيوخ بجامع الزيتونة فأصبح من نوابغه[4]، كما كان لمحمد التهامي شطه المتوفَّى عام 1333هـ/ 1915م نفس الخط السياسي والاجتماعي والديني مع معاصره محمد المكي بن عزوز، حيث كان كاتبا معروفا وأديبا من دعاة الإصلاح، أصله من مدينة الأغواط، غادرها نحو تونس عام 1852م عندما فرضت السيطرة الاستعمارية على منطقته.

- عاشور الخنقي (1264- 1348هـ/ 1848- 1929م): هو عاشور بن محمد بن عبيد بن محمد المسعودي الخنقي. ولد في خنقة سيدي ناجي، من قرى الزاب، وكان انشغاله منصبا حول الدين والسياسة. وهو فقيه مالكي، نشأ بقسنطينة وتعلم بها، ثم انتقل إلى نفطة بتونس طلبا للعلم، فنفاه الفرنسيون إلى الأغواط[5].

كما أنه، وفي إطار التواصل الثقافي، أبدى حسن بن بريهمات، وهو من أنصار فكر خير الدين باشا إعجابه بكتابه "أقوم المسالك" وذلك بإرساله أبيات شعرية عام 1284هـ/ 1867م يقول فيها:

---

[1] – عمار هلال، العلماء الجزائريون...، ص 60؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص 139، 205.

[2] – **مصطفى الشاوش القسنطيني**: هو أبو الوفا مصطفى بن الشاوش نبغ في الأدب، وكان له علم عظيم، وقد أخذ عن شيوخ تونس وبعد رجوعه لقسنطينة، درَّس وأقرأ وخطب بجامع الأخضر. وكانت وفاته عام 1252هـ/ 1836م. ينظر: الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص 580.

[3] – عمار هلال، العلماء الجزائريون...، ص 60، 61، 97؛ عادل نويهض، المرجع نفسه، ص 205.

[4] – محمد الفاضل بن عاشور، **تراجم الأعلام**، الدار التونسية، تونس، 1970م، ص 191.

[5] – عمار هلال، العلماء الجزائريون...، ص 63؛ عادل نويهض، المرجع نفسه، ص 136.

لله درك خير الدين من علم *** أبدى منار الهدى للناس في الفتن[1]

3. دور الطرق الصوفية في التواصل:

عرفت الطرق الصوفية انتشارا واسعا في بلاد المغرب منذ القرن الخامس الهجري نتيجة للاتصال بالمشرق عن طريق الحج والرحلات والتتلمذ على أعلام الصوفية وانتشار مؤلفاتها، وقد تنوعت أدوارها من خلال نشاط شيوخها وزواياها المتواجدة في مختلف المناطق، حيث ساهمت بدور فاعل في التواصل بين دول المغرب العربي[2]، وبخاصة العلاقات الجزائرية التونسية. ومن هاته الطرق ما كان منشؤها في الجزائر أو تونس وسنحاول تسليط الضوء على عرض أهم هاته الطرق ودورها في التواصل الثقافي بين البلدين:

الطريقة التيجانية[3]: تأسست حوالي عام 1748م وظهرت بسوف بين 1790م و 1791م، وقد قام رجالها بدور عظيم في سبيل ربط العلاقات بين الزاوية التيجانية وتونس، تمثلت في انتشار المبدأ التصوفي للولي الصالح الشيخ أحمد التجاني بتونس بواسطة الولي الحاج علي التماسيني وخلفه[4]. وكان انتشار الطريقة التجانية في مختلف مناطق العالم الإسلامي. وفي الجزائر كان انتشارها في الشمال والجنوب عن طريق القوافل التجارية بالخصوص ومن أهم زواياها:

- **زاوية عين ماضي**[5]: وهي مركز وموطن التيجانية بدأ نشاطها برجوع الشيخ أحمد التجاني من قرية أبي سمغون عام 1196هـ/ 1782م، وكان لها دور كبير في نشر الطريقة.
- **زاوية تماسين:** وهي تقع في جهة تعرف بتملاحت أسسها الحاج علي بن عيسى الينبوعي عام 1214هـ/ 1798م، وكانت تساهم في نشر تعاليمها في الجنوب الشرقي من الجزائر والجنوب التونسي، بالإضافة للزاوية التجانية بقمار والأخرى بالطيبات[6].

ولئن كان ظهور الطريقة التيجانية على يد مؤسسها أحمد التجاني (ت 1814م) في الجنوب الجزائري، فإن دخولها إلى البلاد التونسية كان في مطلع القرن 19م على يد إبراهيم الرياحي، وذلك بعد اجتماعه بأحمد التجاني

---

[1] – خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 77.

[2] – يوسف بن حيدة،" التواصل الطرقي بين الجنوب الشرقي الجزائري ومنطقة الجريد خلال القرن 19م"، الملتقى الدولي حول التواصل...، ص 1.

[3] – **الطريقة التيجانية:** هي منهج تربوي وعلمي، يهتم بتربية الإنسان بالاستناد على القرآن العظيم والسنة النبوية. ينظر: عبد الرحمان طالب، المرجع السابق، ص 76- 77.

[4] – العوامر، المصدر السابق، ص 33.

[5] – **عين ماضي:** الواقعة على بعد 70 كلم في مدينة الأغواط. ينظر: لوثروب ستودارد الأمريكي، **حاضر العالم الإسلامي**، مج1،ج2،تر: عجاج نويهض، دار الفكر، ط4 ،1394هـ/ 1973م، ص 396- 397.

[6] – يوسف بن حيدة، المرجع نفسه، ص 9.

في فاس عام 1803- 1804م فتأثر به؛ وكان بذلك أول من تلقى طريقته من حاضرة تونس[1]، وقد كان إبراهيم الرياحي من أشد المدافعين عن الطريقة التيجانية، وله علاقة حميمة بالولي محمد البشير[2]. وكان تركزها أولا بالحاضرة، ثم غزت الجنوب فأسست زاويتي توزر ونفطة، في حين لم تظهر لها زوايا في النصف الشمالي إلا عام 1846م، تمثلت في زاوية الشاوش صالح بباجة وأخرى ببنزرت عام 1860م[3].

وتجلى أثر انتشار الزوايا في المنطقتين بالتأثير على التواصل بين البلدين، فقد كان لزاوية تماسين تأثير على الأتباع في تونس. فعلي بن غذاهم، زعيم انتفاضة 1864م، كان من أحباب الطريقة التيجانية وكانت له اتصالات شخصية بإمام الطريقة محمد العيد بتماسين[4].

الطريقة الرحمانية: تنسب للشيخ محمد بن عبد الرحمان الجرجري (ت 1208هـ/ 1793م)[5]، وقد تلقى تعليمه في زاوية الصديق أعراب في آيت إيراثن والجزائر العاصمة، كما توجه عام 1152هـ/ 1739م إلى البقاع المقدسة، وقد لقنه الشيخ محمد بن سالم بجامع الأزهر الحفناوي مبادئ الطريقة، وعلى إثر عودته للجزائر عام 1183هـ/ 1769م قام بنشر تعاليمها ومبادئ الطريقة الرحمانية.كما قام بها أيضا الشيخ محمد بن عبد الرحمان باش تارزي، الذي تقلد مهمة نشر الطريقة في الشرق الجزائري وجنوبه بالإضافة لتونس[6].

ومن أهم الزوايا الرحمانية في الجزائر، والتي كان لها أثر واضح في العلاقة الروحية مع منطقة الجريد نذكر:

- **زاوية البرج (طولقة):** أسسها الشيخ محمد بن عزوز (ت 1233هـ) في أوائل القرن 19م وكان له تلاميذ ومقدمون، وقد نشر من خلالها تعاليم الطريقة الرحمانية.
- **زاوية طولقة:** أسسها الشيخ علي بن عمر (ت 1842م)، وكان اهتمامها منصبا على نشر التعليم العربي والعلوم الإسلامية، مع أنها كانت تستقبل التلاميذ من مختلف الجهات[7].
- **زاوية خنقة سيدي ناجي:** هي زاوية رحمانية، ورثها الشيخ عبد الحفيظ بن محمد (ت 1266هـ/ 1850م) عن أجداده[8].وباهتمامها بالعلم، كانت محل استقطاب من طرف طلاب العلم سواءً من

---

[1] – التليلي العجيلي، **الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881– 1939م**، رسالة دكتوراه (المرحلة الثالثة)، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1992م، ص 43.

[2] – عبد الرزاق الحمامي، **من قضايا الفكر الديني بتونس**، إش: كمال عمران، الدار التونسية، أفريل 1992م، ص 144.

[3] – خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 77.

[4] – عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق...، ص 67– 69.

[5] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج1، ص 506– 507.

[6] – يوسف بن حيدة، المرجع السابق، ص 5– 6.

[7] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج3، ص 216.

[8] - octave dépont et xavier coppolani , **les confréries religieuses musulmanes** , typographie et lithographie Adolphe , libraire éditeur, Alger, 1897,p399.

الجزائر بمختلف مناطقها، أو من تونس، بالإضافة لموقعها القريب من الحدود التونسية وبمحاذاة الجريد لعبت دورا في ربط العلاقات الثقافية بالمنطقة.

- **زاوية أولاد جلال**: يعود تاريخ تأسيسها إلى عام 1230هـ/ 1815م على يد الشيخ المختار بن خليفة(ت 1862م) بأولاد جلال ببسكرة، اهتمت بنشر التعليم والمحافظة على الدين الإسلامي.
- **زاوية الهامل**: أنشأها محمد بن بلقاسم (ت 1315هـ/ 1897م) عام 1849م[1]، وقد تنوع نشاطها التعليمي، فأصبحت قبلة لطلب الإجازات العلمية من تونس والمغرب وتلمسان وقسنطينة[2].

أما فيما يتعلق بزوايا الجريد فأهمها:

- **زاوية الكاف**: وهي بمثابة الزاوية الأم للطريقة الرحمانية بالبلاد فيما بين أعوام 1821- 1843م[3]، وكان وكان بها حوالي 900 مريد و 32 مقدما في سوق أهراس وحدها إلى جانب 18 مقدما كانوا يتلقون الدعم من خمسة فروع تونسية[4].
- **زاوية نفطة**: أسسها مصطفى بن عزوز عام 1843- 1844م، حيث كانت مقصد الطلبة بحكم أنه يوجد فيها علماء صالحون مخلصون، يتولون التربية والتعليم. وكانت وثيقة الصلة بزاوية الهامل الكبيرة في الجزائر وبكثير من الزوايا الأخرى الجزائرية، سيما الرحمانية الموجودة في خنقة سيدي ناجي[5].

كما ساهم أبناء مصطفى بن عزوز في ربط أواصر العلاقات الثقافية، وهم الحفناوي الذي خلفه على زاوية نفطة، ومحمد الذي أسس زاوية رحمانية أخرى بالقيروان، والمكي الذي اشتهر بالعلم، وعمل على نطاق الجامعة الإسلامية[6].

بالإضافة لزوايا أخرى منها: زاوية توزر الرحمانية، أسسها بوبكر بن خالد عام 1846م وزاوية محمد التباني بنفطة أسسها إبراهيم خريف عام 1845م والزاوية العزوزية بالقصرين، وزاوية الشيخ مبارك وزاوية تالة، وكلها ترجع للزاوية الأم نفطة. ومن خلال هاته الزوايا يتضح لنا التواصل الروحي بين المنطقتين ممثلا في الطريقة الرحمانية التي أسسها الشيخ محمد بن عزوز وابنه مصطفى الذي هاجر لنفطة لنشر الطريقة بتونس واستكمال مهامها. وقد

---

[1] – يوسف بن حيدة ، المرجع السابق، ص 5- 6.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج3، ص 221.

[3] – التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 51.

[4] – احميدة عميراوي، علاقات بايلك ...، ص 33- 34.

[5] – محمد علي دبوز، **أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1340هـ/ 1921م إلى عام 1395هـ/ 1975م**، ج1، دار عالم المعرفة، ط1، الجزائر، 2013م، ص 56.

[6] – خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 77.

حاز على هيبة ونفوذ حقيقيين[1] مع نجاحه في جذب عدد من الأتباع، وكانت له مكانة عند السلطة الحاكمة الممثلة في كل من الباي أحمد باشا والمشير الثالث محمد الصادق باشا باي[2].

وقد شكلت الزيارات والرحلات العلمية المتبادلة أثرا في التواصل، حيث كان شيوخ نفطة ينتقلون إلى الجزائر بحكم الأصل، وبحكم الروابط الروحية الرحمانية، وكذا المهام التعليمية مثلا: تنقلات شيوخ أسرة بن عزوز[3]، بالإضافة لدور الزاوية الرحمانية بمنطقة الجريد في دعم المقاومة الجزائرية في هاته الفترة، حيث تحولت إلى مركز يجمع المضطهدين الجزائريين الفارين والمطرودين، ومقرا لتدارس مشاكل بلدهم وتنظيم مقاومتهم[4].

الطريقة القادرية: تنسب للشيخ محي الدين عبد القادر بن أبي صالح المولود في مدينة جيلان عام (471هـ/ 1077م). وكان ظهورها بالعراق في القرن الخامس الهجري، وانتقلت بعدها إلى مناطق مختلفة من العالم الإسلامي[5].

ويعود انتشارها في تونس إلى الشيخ محمد الإمام المنزلي (ت. 1832م) الذي بنى أول زاوية لها بمنزل بوزلفة. وذلك بمساعدة الباي حمودة باشا الذي يعد أحد أتباعها[6]. أما فيما يخص وصولها إلى منطقة الجريد، فيرجع الباحثون ذلك إلى الشيخ أبي بكر بن أحمد الشريف، تلميذ الشيخ محمد المنزلي[7] ، والذي انتقل إلى توزر لجلب أتباع للطريقة، فانضم إليه عدد كبير من قبيلة الفراشيش وماجر، بالإضافة لقيامه بتأسيس زاوية توزر الكائنة بسيدي العواتي عام 1816م.

وقد تم تأسيس الزاوية القادرية بنفطة على يد إبراهيم بن أحمد الشريف (ت. 1878م) عام 1843م تلميذ الشيخ أبي بكر الشريف، وقد أضحت تتمتع بنفوذ واسع في منطقة الجريد هذا ما أدى لارتفاع عدد أتباعها وتوسع نشاطها[8].

واستطاعت القادرية بالجريد، وخصوصا "زاوية نفطة"، أن تصبح بمثابة الزاوية الأم. حيث شمل نفوذها الشرق الجزائري والجنوب الشرقي، كل هذا بفضل جهود الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف[9].

---

[1] – يوسف بن حيدة، المرجع السابق، ص 7.

[2] – محمد محفوظ، المرجع السابق، ج3، ص 379.

[3] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج3، ص 217.

[4] – يوسف بن حيدة، المرجع نفسه، ص 8.

[5] – عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص12– 13؛ صلاح مؤيد العقبي، **الطرق والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 95– 96.

[6] – التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 39– 40.

[7] – Depont et coppolani ,op. Cit. p306-307.

[8] – يوسف بن حيدة، المرجع نفسه، ص 2.

[9] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج4، ص 47– 48.

كما تجسدت العلاقات الثقافية التي انبثقت عن دور الطريقة القادرية في اهتمام زواياها بالتعليم، فقد ساهمت زاوية نفطة في هذا الميدان وذلك من خلال تخريج عدد معتبر من المثقفين والمعلمين كان من بينهم عدد كبير من سكان الجنوب الشرقي الجزائري[1].

بالإضافة لكون العلاقات في التواصل الطرقي القادري بين المنطقتين تعود للقرب الجغرافي وهو ما دفع بالعديد من المناضلين إلى اتخاذها منطلقا أو قاعدة خلفية لجهادهم ضد العدو الفرنسي، ومنهم على سبيل المثال بن ناصر بن شهرة الذي يعد أحد أتباع الطريقة القادرية، والذي التجأ إلى نفطه وتوزر بالجريد بعد استيلاء فرنسا على الأغواط عام 1853م[2].

الطريقة الشابية: يعود تاريخ الشابية في الجزائر إلى أواخر القرن 16م، ولها زوايا عديدة في تونس والجزائر، وكان عملها دينيا وسياسيا، امتد من عنابة إلى وادي سوف[3]. وقد أسسها الشيخ أحمد بن مخلوف الشابي (835-898هـ/ 1431- 1492م) من بلدة الشابية بالساحل التونسي، وكان انتشارها في تونس والجهة الشرقية للجزائر، حيث أسسوا زاوية بالأوراس وشمل انتشارها الجنوب الشرقي الجزائري. وكانت منارة هداية للقبائل التونسية والجزائرية، واهتمت بتدريس مختلف العلوم للطلبة الوافدين إليها. كما كانت بمثابة محكمة للتقاضي بين الخصوم، بالإضافة لكونها مركزا لنشر المعرفة وبالتالي شكلت همزة وصل بين منطقة الجريد والجنوب الشرقي للجزائر، واستمرت في مهمتها التربوية إلى عام 1859م[4].

وبالتالي فقد لعبت الطرق الصوفية مثل الطريقة القادرية والرحمانية والتجانية والشابية دورا كبيرا في التواصل الثقافي بين البلدين عموما، وبين الجنوب الشرقي الجزائري ومنطقة الجريد التونسي خصوصا، وتجلى ذلك من خلال التعليم الذي كان في متناول أبناء البلدين. بالإضافة لنشر التصوف والعلوم الدينية مما جعلها قبلة للطلبة والأتباع كما تجلى نشاطها في احتضان اللاجئين من بطش الاستعمار الفرنسي.

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج4، ص 47.

[2] – يوسف بن حيدة، المرجع السابق، ص 4.

[3] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج 4، ص 275- 279.

[4] – يوسف بن حيدة، المرجع نفسه، ص 11- 13.

الخاتمة

خاتمة

كانت العلاقات بين تونس والجزائر متأصلة منذ القدم، وممتدة الجذور، ومتنوعة الجوانب. إذ ربطت بينهما العلاقات في مختلف المجالات: السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والفكرية. وقد تعرفت على ذلك عند دراستي لموضوع العلاقات الجزائرية التونسية من خلال كتاب "إتحاف أهل الزمان" لابن أبي الضياف في الفترة الزمنية (1198- 1288هـ/1782-1872م). وقد آن لي أن أقف على شتى النتائج والملاحظات التي توصلت إليها.

- يُعد كتاب إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان لابن أبي الضياف مصدرا نفيسا في دراسة تلك الفترة، بما حواه من معلومات تاريخية وإصلاحية قيّمة. كما أفادني في التعرف على العلاقات السياسية والعسكرية بين البلدين بصورة مفصلة، باستثناء بعض الحالات التي توترت فيها العلاقات، كما وضح لي طبيعة هذه العلاقات، إلا أنه، ومما يؤاخذ عليه، هو التغاضي عن توضيح العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، التي أوردها بصورة مقتضبة جدا وتبين لي ذلك من خلال قراءة وتفحص طيات هذا المصدر.

- كما عرفت العلاقات السياسية بين البلدين توترا ملحوظا في أغلب فترات الدراسة لهذا الموضوع، ويعود ذلك لارتباطها بمستويين رسمي وشعبي. إذ من الجانب الرسمي، تعكرت العلاقات السياسية، خاصة بعد احتلال الجزائر عام 1830م، وذلك يعود للضغوط الفرنسية من الناحية الاقتصادية على تونس. أما عن المواقف الشعبية فلا يمكنني إلا الإقرار والاعتراف بجميل الشعب التونسي، بدعمه للمقاومة الجزائرية وهو ما وطد العلاقات بين الشعبين.

- لقد تعددت الحملات العسكرية المتبادلة بين الجزائر وتونس، ولا سيما خلال فترة الباي حمودة باشا (1782- 1814م)، إلا أنها عرفت بعضا من الهدوء، نتيجة لإبرامها العديد من الاتفاقيات بهدف المهادنة، وتوسط الدولة العثمانية في ذلك.

- أما عن توتر العلاقات السياسية والعسكرية بين البلدين، فيعود ذلك إلى ما بعد عام 1830م، عندما كثرت أطماع بايات تونس في تملكهم لبعض المناطق الجزائرية، ومحاولة السيطرة عليها. وبالرغم من عدم

مساندة بايات تونس للمقاومة الجزائرية، إلا أن الشعب التونسي أيدها وآزرها من خلال دعمه للأمير عبد القادر وخلفائه، وكذا للمقاومات الشعبية المتعددة التي لجأ بعض زعمائها إلى الأراضي التونسية، هذا من ناحية، ومن جهة أخرى شهدت العلاقات الاجتماعية بين تونس والجزائر تلاحما كبيرا، وتجلى لي ذلك في الهجرات الكبيرة التي قام بها الجزائريون، وذلك بهدف العمل، أو مواصلة تعليمهم، خاصة بعد أن وطأ الاحتلال الفرنسي الأراضي الجزائرية.

- وقد فسحت الهجرة الجزائرية نحو تونس مجالا لتثمين التواصل بين القطرين الجزائري والتونسي، وذلك من خلال التواصل البشري بينهما، خاصة بعد احتلال الجزائر عام 1830م، حيث لجأ إليها العديد من الجزائريين من مختلف مناطق الجزائر أملا في العيش المستقر.

- كما تركت التشكيلات الاجتماعية المتوطنة على حدود البلدين، أثرا كبيرا في تحديد العلاقات، ومصير البلدين، خاصة منها قبيلة الحنانشة لتستغل فرنسا هذه الأوضاع لصالحها. كما اعتمدت تونس على عناصر جزائرية مثل الزواوة في الدفاع عن نفسها.

- وتميزت العلاقات الاقتصادية بين الجزائر وتونس بالازدهار والتبادل، تجلى لنا ذلك من خلال البضائع المتبادلة بين تجار البلدين، وكذا من خلال شبكة الطرق الرابطة بينهما، والعملات التونسية المتواجدة في الأسواق الجزائرية.

- شهدت العلاقات الثقافية بين الجزائر وتونس تنوعا، من خلال الزيارات العلمية المتبادلة. حيث عدت تونس معبراً رئيسا لزيارة البقاع المقدسة، أو لطلب العلم،كما ظهر ذلك من خلال زيارات علماء تونس إلى أرض الجزائر واستفتائهم في قضايا الدين والدنيا.

- وميز العلاقات الثقافية بين البلدين المتانة والاستمرارية، واتضح ذلك من خلال الرحلات العلمية للجزائريين نحو الأراضي التونسية قبل وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر.

- كما كان للطرق الصوفية دور كبير في ربط أواصر العلاقات عموما، والثقافية خصوصا، وهذا يبين لي مدى اهتمام تونس بالتعليم المفتوح لأبناء المنطقتين، بالاضافة لنشر مبادئها، مما جعلها قبلة للمريدين ، ومقراً للاجئين من جور الاستعمار الفرنسي.

وفي الختام، لا يسعني إلا أن أذكر أن تاريخ العلاقات الجزائرية التونسية خلال هاته الفترة الممتدة من عام 1782م إلى غاية 1872 لم تحظ لحد الآن بالدراسة الكافية، مما يتطلب من الباحثين المزيد من العناية والدراسة والمناقشة، التي من شأنها تسليط الضوء أكثر، خاصة على العلاقات الاقتصادية والاجتماعية. وبالرغم من بذل أقصى جهدي في هذا المجال، إلا أنني عثرت على بعض النقاط التي هي جديرة في نظري لتكون منطلقا للباحثين لمعرفة خبايا هذا الموضوع. وأرجو أن أكون قد أفدت الدارسين بهذا العمل الذي هو محاولة لنفض الغبار عن العلاقات الجزائرية التونسية التي جاءت بين طيات مصدر ابن أبي الضياف، ويبقى هذا العمل قابلا للنقد والتوجيه.

والله ولي التوفيق.

الإملاء

الملحق رقم (01)

رسالة الحسن بن عزوز خليفة الأمير عبد القادر إلى حمودة باشا بتونس حول ربط الصلات بينه وبين الأمير عبد القادر[1]:

الحمد لله وحده.وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.حفظ الله تعالى (كذا) بمنه وكرمه وعم بجميل ستره وخيره مقام ذات المعظم الأرفع الهمام الأنفع السيد حمودة باشا باي أكرمه الله ورعاه وكان له وتولاه آمين وسلام عليك ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته ما تعاقب الفلك وحركاته ثم ليكن في شرف علمك خيرا أنه لما ملك عدو الله الأرض بل قسنطينة واختلفت كلمة الإسلام وفشلوا وضعفوا عن الدب وردء العدو وأراد أن يملك الأرض امتثلنا قوله تعالى :

"يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة" (كذا) وسرنا إلى مولانا السيد الحاج عبد القادر لما نعم فيه من النجدة والقوة ونصرة الإسلام ودفع كل مفسدة وبذل نفسه في إصلاح الأمة وطلبنا منه أن يجوس خلال قطرنا ويشد عضده ما لبث غبر ساعة حتى تلي (كذا) قوله تعالى : "كان حقا علينا نصر المؤمنين"، ووفانا على هذه الناحية وأمدنا بحملة عظيمة فأخرجنا من كان فيها من المفسدين وها نحن بإصلاح الخلق معتنين ولهذا عرفنا أمير المؤمنين لا لدنيا نصيبها ولا لرفعة نكسبها وأما ما شاهدناه منه من نصرة الإسلام والدب (كذا) عن أمة محمد عليه السلام وقمع العتات (كذا) من البغات (كذا) والكفرة اللئام ولأنه جمع الطرفين واقتعد منصة الشرفين فإن ظهر لك أن وصلة بينك وبينه في المعرفة لتزول الأمور المختلفة وتجتمع الكلمة الشريفة وندخل في قوله تعالى : "ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم"وفي قوله تعالى" وتعاونوا على البر والتقوى" وقال صلى الله عليه وسلم "المؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا"، فنحن بذلك بعلاء وبإثباتها حفلاء إذ معرفة أولاد الرسول إلا تأتي إلا بخير وهي في الدنيا والآخرة جنة لدفع كل شر وضير إذ هم بضعته (كذا) صلى الله عليه وسلم لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق لا سيما من جمع منهم الشرف في الظاهر والباطن وكان في منازل المكارم والمحاسن نازلا وقاطن (كذا) ومعرفة أولاد الرسول لا تزيدك عند الله وعند عباده إلا رفعا وتكسبك دفعا ونفعا والمعرفة بيت لأن من تكون سرا أو علانية وما علمناك بهذا إلا لكونك منا والينا وعلمنا بصدقك والظن الجميل بل ونعرفك تحب الإيمان وترغب نصرة الدين والسلام وبأمر السيد حسن بن عزوز خليفة أمير المؤمنين نصره الله آمين ولا حول ولاقوه إلا بالله العلي العظيم.

نعم وان تكن فطينا لبيبا عاقلا وانظر عاقبة الأمور من جانب الفكرة ولا تظن وده من جانب الحب بل من جانب المكر والخديعة لا غير وما شغلهم عنكم الا نحن ولولا نحن لرجعوا إليكم وها نحن مشغولون إلا بهم وأنت منا والينا والحب بيننا سابق ولاحق لا ينفك أبدا والسلام معاد عليكم .

[1] – يحي بوعزيز، كفاح الجزائر...، ص 45- 46.

الملحق رقم (02)

رسالة الحسن بن عزوز إلى حمودة باشا حول ربط العلاقات مع الأمير عبد القادر[2]:

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد

حفظ الله تعالى بمنه وكرمه وعم بجودة وإحسانه حضرة الأجل الوجيه الاقليل الزاكي الأشمل المرعى برعاية الله عز وجل محبنا وصديقنا ونصيحنا (كذا) السيد حمده بأي سلام الله عليك ورحمة الله وبركاته وتحيته ورضوانه ولا زايد عن حمد الله جلت قدرته وتقدست أسماؤه سوا الخير والعافية ونعمه الوافية المتوالية التي نطلب من الله دوامها وبقاءها علينا وعليكم وعلى جميع المسلمين آمين وبعد أن سألت عنا فترانا نحمد الله ونشكره ونحن في هناء وعافية وعز وظفر (كذا) ونصر وسلامة ولم يخصنا من الخير شيء ولتعلم أيها الصديق وإننا لما رد الإيمان وقوي الكفر واضطربت أمواجه من كل ناحية وعفت صولته وشوقت المسلمين (كذا) إلى الكفار فخشينا الردة بجمع المسلمين وان يعم الكفر الوطن فألجأ إلى أمير المؤمنين مولانا السيد الحاج عبد القادر بن محي الدين كما ركب نوح السفينة لا خشي غرقه من الطوفان لأنه صاحب قوة في الظاهر من قومان (كذا) وعساكر (كذا) وصاحب ولاية في الباطن وما هو إلا رجل عدل تقي طاهر يصوم النهار ويقوم الليل منصف للحد ولو على نفسه لا تأخذه في الله لومة لائم ونحن على سيرته ومتبعون لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وما قصدنا إلا إصلاح الدين وجمع كلمة المسلمين وإزالة العناد ودرء المناكر والفساد فنسأل (كذا) الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ومحبتنا فيكم أن يشتموا (كذا) أن تكون ظاهرة أو باطنه لا باس في ذلك وها نحن كتبنا إلى السيد احمد باشا أجوبة فتناظر أنت وإياه في ذلك وأما حب النصارى لكم ومرادهم فهي مكر وخديعة وما قصدهم إلا بعد إمساكهم عمالة الجزائر يرجعون لكم . والسلام المكتوب عن إذنه الواثق بالله ورسوله السيد الحسن خليفة مولانا نصره الله آمين آمين .

ومن جملة ما ذكرناه للسيد أحمد باشا (كذا) على أن يشتموا أن تكونوا أنتم والسلطان السيد الحاج عبد القادر على رأي واحد ليقر الدين وتجتمع كلمة المسلمين .

[2] – يحي بوعزيز، كفاح الجزائر...، ص 47- 48.

الملحق رقم (03)

خريطة توضح أهم الطرق الرابطة بين أسواق الشرق الجزائري والأسواق التونسية[3]:

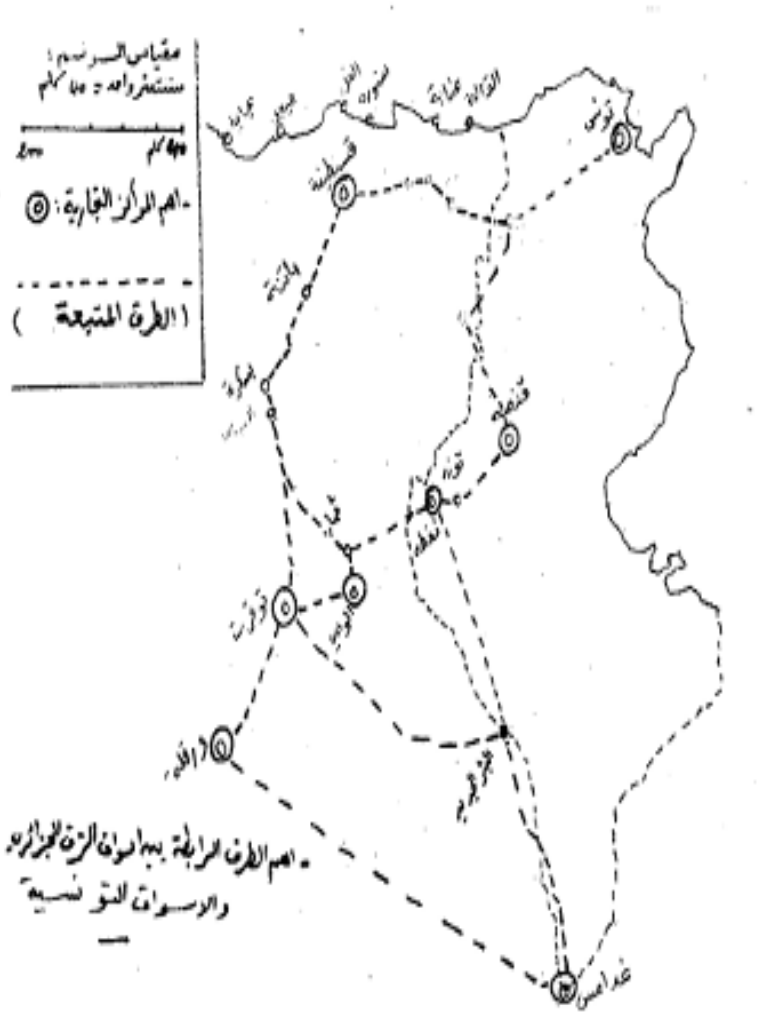

[3] – محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية...، ص 160.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادروالمراجع

القران الكريم.

أولا/ المصادر

1- الأشموني(ت.1495م)،**شرح الأشموني على ألفية بن مالك المسمى "منهج السالك إلى ألفية بن مالك"**، ج1، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1375هـ/ 1955م.

2- الأندلسي أبو عبد الله محمد بن محمد (ت.1062هـ)، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1287هـ.

3- ابن أبي الدينار أبو عبد الله محمد أبو القاسم الرعيني القيرواني(ت.1698م)، **كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، الدار التونسية، ط1، 1286هـ.

4- ابن أبي الضياف أحمد(ت.1291هـ/1874م)، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، 4مج، 8ج، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، ط2، تونس، 2004م.

5- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد(ت.1406م)، **مقدمة ابن خلدون**، دار إحياء التراث العربي، ط4، بيروت، لبنان.

6- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت.1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، مج3، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

7- ابن عياض اليحصبي السبتي القاضي أبو الفضل عياض بن موسى(ت.1149م)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ج1، تح: أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

8- ابن فرحون برهان الدين إبراهيم، **كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

9- ابن المطماطية محمود(ت.1920م)، **غرائب البراهين في مناقب صاحب تماسين**، كتابة علي غريسي.

10- باي أحمد(ت.1850م)، **مذكرات أحمد باي**.

11- البغدادي إسماعيل باشا (ت.230هـ)، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، مج1،ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1951م.

12- البيطار الشيخ عبد الرزاق(ت.1976م)،**حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**،ج1، حققه ونسقه وعلق عليه: محمد بهجت البيطار، دار صادر، ط2، بيروت، 1382هـ/ 1963م.

13- التونسي خير الدين (ت.1890م)، **أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك (المقدمة وتقاريظ المعاصرين تحليل النص وتحقيقه مع جداول وملحقات وفهارس للمنصف الشنوفي)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1986م.

14- التونسي محمد بيرم الخامس(ت.1961م)،**صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار**،ج2، دار صادر،بيروت،1303هـ.

15- الجزائري الأمير محمد بن عبد القادر(ت.1883م)، **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، ج1،ج2، عني به: داوود بخاري، رابح قادري، دار الوعي، ط1، الجزائر، 1434هـ/ 2012م.

16- الجزائري محمد بن ميمون ، **التحفة المرضية في الدولة البكداشيةفي بلاد الجزائر المحمية**، تق وتح: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981م.

17- الحفناوي أبو القاسم محمد بن أبي القاسم الديسي بن سيدي إبراهيم الغول(ت.1943م)، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، تح: محمد أبو الأجفان، عثمان بطيخ، ، دار الرسالة، بيروت، لبنان.

18- خوجة حمدان بن عثمان ، **المرآة**، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، الجزائر، 2007م.

19-**رسائل أحمد بن أبي الضياف السرية إلى محمود بن عياد1850- 1853م**، دراسة وتحقيق: يونس وصيفي، مطبعة الشرق، ط1، تونس، 2005م.

20- الزرقاني المصري عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن محمد:**شرح الزرقاني على مختصر الشيخ خليل بن إسحاق المالكي**،مج8، تح: عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية، ط1، 2002م.

21- الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم(ت.794هـ)، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح وتع: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، ط2، تونس، 1966م.

22- سليم إسماعيل باشا بن محمد بن مير(ت.1920م)، **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

23- السنوسي محمد، **ذيل أقدم ترجمة لابن أبي الضياف، مجمع الدواوين التونسية**، حوليات الجامعة التونسية، ع5.

24- السنوسي محمد بن عثمان(ت.1318هـ/1900م)، **مسامرات الظريف بحسن التعريف**، ج1، تح وتع: محمد الشاذلي النيفر، دار بوسلامة، تونس، 1983م.

25-عبد القادر(الأمير)، **مذكرات الأمير عبد القادر (سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849م)**، تح: محمد الصغير بناني، وآخرين، دار الأمة، الجزائر، 2007م.

26- العوامر إبراهيم محمد الساسي(ت.1934م)، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تع: الجيلاني بن إبراهيم العوامر، دار ثالة، ط2، الجزائر، 2009م.

27- الكتاني أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس(ت.1345هـ/1927م)، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، حققها ووضع فهارسها: الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، ج1، الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس (4).

28- مخلوف محمد بن محمد(ت.1360هـ/1941م)،**شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (التتمة)**، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1350هـ.

ـــــ ، ـــــ، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية ومكتبتها، مصر، 1349هـ.

29- المراكشي بن عذارى(ت.712هـ)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح ومر: ج.س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، لبنان، 1983م.

30- المسعودي أبو عبد الله الشيخ محمد الباجي(ت.1880م)، **الخلاصة النقية في أمراء أفريقية**، مطبعة بيكار وشركائه، ط2، تونس، 1323هـ.

31- المقريزي تقي الدين أحمد بن علي(ت.1442م)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، ج1، تح: محمد زينهم، مديحة الشرقاوي ، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، مصر، 1998م.

32- المكودي أبو زيد عبد الرحمان بن علي بن صالح(ت.1983م)، **شرح المكودي على الألفية في علمي الصرف والنحو**، ضبط: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان.

33- النيفر الشيخ محمد(ت.1418هـ)، **عيون الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب**، ج2، ط1، تونس، 1351هـ.

34- الوزان الفاسي الحسن محمد المعروف بليون الإفريقي(ت.1521م)، **وصف أفريقيا**، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1983م.

ثانيا/ المراجع

1- **المراجع العربية**

1-أباظة نزار، **الأمير عبد القادر الجزائريالعالم المجاهد**، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، لبنان، 1414هـ- 1994م

2-أخباروأمصار رحلة المشير إيفالد من تونس إلى طرابلس في سنة 1835م (مرورا بسليمان ونابل والحمامات وسوسة والمنستير والمهديةوصفاقس وقابس وجربة)، تر وتع: منير الفندري، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1991م

3-بوطالب عبد القادر، **الأمير وبناء الأمة الجزائرية من الأمير عبد القادر إلى حرب التحرير**، منشورات دحلب، الجزائر، 2009م.

4- بوعزة بوضرساية، **الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة ومقاوم 1830– 1848م**، دار الحكمة، الجزائر، 2010م.

5- بوعزيز يحي، **الاستعمار الأوروبي الحديث في أفريقيا وآسيا وجزر المحيطات**، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.

ـــــ ، ـــــ، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين (ثورات القرن التاسع عشر)**، ج1، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ط2، الجزائر.

ـــــ ، ـــــ، **كتاب الجزائر**، مج8، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2010م.

ـــــ ، ـــــ، **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.

ـــــ ، ـــــ، **فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانهما أو تاريخ قسنطينة**، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2007م.

ـــــ ، ـــــ، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، دار البصائر، الجزائر، 2009م.

ـــــ ، ـــــ، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2009م.

ـــــ ، ـــــ، **وهران**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985م.

6- بن بكير الحاج سعيد يوسف، **تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م.

7- بن الخوجة محمد، **تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد**، تح وتق: الجيلاني بن الحاج يحي، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1985م.

ـــــ ، ـــــ، **صفحات من تاريخ تونس**، تق وتح: حمادي الساحلي، الجيلاني بن الحاج يحي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1986م.

8- بن سليمان فاطمة، **الأرض والهوية (نشوء الدولة الترابية في تونس 1574– 1881)**، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2009م.

9- بن عاشور محمد الفاضل، **تراجم الأعلام**، الدار التونسية، تونس، 1970م.

10- بن عيسى التجيني، **معجم أعلام تلمسان**، كنوز للنشر والتوزيع، تلمسان، الجزائر، 2011م.

11- بن نعمية عبد المجيد وآخرون، **موسوعة أعلام الجزائر1830- 1954م**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر.

12-التميمي عبد الجليل، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي(تونس، الجزائر، ليبيا) (1816- 1871م)**، تق: منتران روبار ، الدار التونسية للنشر، ط1، تونس، مارس 1972م.

ـــــ ، ـــــ، **الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني**، علي الزواوي: "الوافدون على مدينة صفاقس خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أصولهم وتوزيعهم داخل المدينة وعلاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية.

13- التيمومي الهادي، **تونس والتحديث (1831/ 1877م) أول دستور في العالم الإسلامي**، دار محمد علي للنشر، تونس، 2010م.

14- الجابري محمد صالح، **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900- 1962م**، الشركة الوطنية، الجزائر، 1983م.

15- جدي أحمد، **محنة النهضة ولغز التاريخ في الفكر العربي الحديث والمعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2005م.

16- الجمل شوقي، **المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى(مراكش))**، المكتب المصري، القاهرة، 2003م.

17- الجميل سيار، **تكوين العرب الحديث**، دار الشروق، عمان، الأردن، 1997م.

18- حداد حليم ميشال، **قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم(تونس والجزائر)** ، موسوعة تاريخية جغرافية حضارية وأدبية، دار كربس، بيروت، لبنان، 1998- 1999م.

19- حرب أديب، **التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري (1808– 1847م)**، ج2، دار الرائد للكتاب، ط3، الجزائر، 2005م.

20- الحمامي عبد الرزاق، **من قضايا الفكر الديني بتونس**، إش: كمال عمران، الدار التونسية، أفريل 1992م.

21- خلاصي علي، **قصبة مدينة الجزائر**، ج1، دار الحضارة، ط1، الجزائر، 2007م.

22- دبوز محمد علي، **أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1340هـ/ 1921م إلى عام 1395هـ/ 1975م**، ج1، دار عالم المعرفة، ط1، الجزائر، 2013م.

ـــــ ، ـــــ، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج1، مطبوعات الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م.

23- دودو أبو العيد، **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1989م.

24- دوفال ألبير، **الرايس حميدو**، تع: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر.

25- ديدي السعيد، **دليل الحائر إلى صور ومواقف من جهاد التجانيين في الجزائر**،مكتبة الريحان،ط1، الوادي، الجزائر، 1431 هـ /2010م.

26- دينيزن أ.ف.، **الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر**، تر وتق: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2009م.

27- روش ليون، **اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام** (مذكرات ليون روش عن رحلته إلى الحجاز)، ج1، تر وتق وتع: محمد خير محمود البقاعي، جداول للنشر، ط1، لبنان، 2011م.

28- رياض زاهر، **استعمار القارة الأفريقية واستقلالها**، دار المعرفة، ط1، القاهرة، مصر، 1966م.

29- الزبيري محمد العربي، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية، الجزائر.

ـــــ ، ـــــ، **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1975م.

30- الزركلي خير الدين، **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)**،ج1، ج7، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، لبنان، 2002م.

31- الزمرلي الصادق، **أعلام تونسيون**، تق وتع: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1986م.

32- الزواوي أبو يعلى، **تاريخ الزواوة**، مرا وتع: سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة، ط1، الجزائر، 2005م.

33- زوزو عبد الحميد، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830– 1900**م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

34- ساحلي محمد الشريف، **تخليص التاريخ من الاستعمار**، تر: محمد هناد، محمد الشريف بن دالي حسين، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، الجزائر، 2002م.

35- سامح ألتر عزيز، **الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية**، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 1409هـ/ 1989م.

36- ستودارد لوثروب الأمريكي، **حاضر العالم الإسلامي**، مج1،ج2،تر: عجاج نويهض،دار الفكر، ط4،1394هـ/1973م.

37- سركيس يوسف اليان، **معجم المطبوعات العربية والمعربة**،ج1، مطبعة سركيس، مصر، 1346هـ/1928م.

38- سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**،ج2، ج3، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2011م.

ـــــ ، ـــــ، **تاريخ الجزائر الثقافي (1830– 1954)**،ج1،ج2،ج3،ج4، دار عالم المعرفة، طبعة خاصة،الجزائر،2011م.

ـــــ ، ـــــ، **محاضرات في تاريخ الجزائر(بداية الاحتلال)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1982م.

39- سعيدوني ناصر الدين، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة**، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م.

ـــــ ، ـــــــ، **عصر الأمير عبد القادر الجزائري**، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2000م.

ـــــ ، ـــــــ، **ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)**، دار البصائر، ط2، الجزائر، 2009م.

40- سعيدوني ناصر الدين، بوعبدلي المهدي ، **الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

41- سلسة المشاريع الوطنية للبحث، **العدوان الفرنسي على الجزائر**- الخلفيات والأبعاد-، منشورات المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م.

42- سماتي محفوظ، **الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها**، تر: محمد الصغير بناني، عبد العزيز بوشعيب، منشورات دحلب، الجزائر، 2007م.

43- السيد محمود، **تاريخ دول المغرب العربي (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2004م.

44- شترة خير الدين، **إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900-1939م**، دار البصائر، الجزائر، 2009م.

45- شريط عبد الله، الميلي محمد مبارك، **مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

46- شويتام أرزقي، **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي (الفترة العثمانية 1519-1830م)**، دار الكتاب العربي، ط1، 2010م.

ـــــ ، ـــــــ، **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800- 1830م**، دار الكتاب العربي، ط1، 2011م.

47- الشيباني بن بلغيث، **الجيش التونسي في عهد محمد الصادقباي (1859– 1882م)**، تق: عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة صفاقس، صفاقس، تونس،1995م.

48- الشيخ أبو عمران وفريق من الأساتذة، **معجم مشاهير المغاربة**، منشورات دحلب، الجزائر، 2007م.

49- طالب عبد الرحمان، **الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه ومنهجياته في التفسير والفتوى والتربية**، وهران، الجزائر، 2004م.

50- طقوش محمد سهيل، **تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة**، دار النفائس، ط2، بيروت، لبنان، 1429هـ/ 2008م.

51- عباد صالح، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514– 1830م**، دار هومة، ط2، الجزائر، 2007م.

52- عبد السلام أحمد، **مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية**، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، تونس،1986م.

53- عبد القادر نور الدين، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، دار الحضارة، الجزائر، 2007م.

54- عبد الكريم أحمد عزت، **دراسات في تاريخ العرب الحديث**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

55- عبدالله الطاهر، **الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830/ 1956م**، دار المعارف، ط2، سوسة، تونس.

56- عبد الوهاب حسن حسني، **خلاصة تاريخ تونس**، تق وتح: حمادي الساحلي، دار الجنوب، تونس، 2010م.

ـــــ ، ـــــــ، **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، مج2، القسم1، مرا: محمد العروسي المطوي، بشير بكوش، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، 1425 هـ/ 2005م.

57- العسلي بسام، **جهاد الشعب الجزائري (الجزائر والاستعمار)**، ج1، دار العزة والكرامة للكتاب، الجزائر.

ـــــ ، ـــــ، **المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي (1830– 1838م)**، دار النفائس، ط2، بيروت، لبنان، 1403هـ/ 1983م.

59- العقبي صلاح مؤيد، **الطرق والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البصائر، الجزائر، 2009م.

60- عميراوي احميدة، **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر.

ـــــ ، ـــــ، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى، ط2، عين مليلة، الجزائر، 1425هـ/ 2004م.

ـــــ ، ـــــ، **موضوعات من تاريخ الجزائر السياسي**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004م.

61- عوض صالح، **معركةالاسلام والصليبية في الجزائر من سنة 1830 إلى سنة 1962م (دراسة تحليلية)**، ج1، مطبعة دحلب، ط2، الجزائر، 1992م.

62- غانياج جان، **ثورة علي بن غذاهم 1864م**، تر: لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1965م.

63- فلنزي لوسات، **ما يجب أن تعرف عن المغرب العربي قبل احتلال الجزائر(1790– 1830م)**، تر: حمادي الساحلي، دار سراس، تونس، 1994م.

64- لشهب أبوبكر، **مباحث الحكم الشرعي (رسائل في أصول الفقه والقواعد الأصولية والفقهية)**، مطبعة مزوار، ط1، الوادي، الجزائر، 1430هـ / 2009م.

65- كحالة عمر رضا، **معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)**، ج1،ج2،ج3، مؤسسة الرسالة.

66- الماجري عبد الكريم، **هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجواونة إلى تونس(1831-1937م) دراسة تاريخية لإشكالية الاستعمار والهجرةوتشكل الجاليات المغاربية بتونس وخصوصياتها الاجتماعية والقانونية**، الشركة التونسية، ط1، تونس، 2010م .

67- المحجوبي علي، **ما يجب أن تعرف عن النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر(لماذا فشلت بمصر وتونس ونجحت باليابان؟)**، سراس للنشر، تونس، 1999م.

68- محروس إسماعيل حلمي، **تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1997م.

69- محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج1، ج2، ج3،ج4، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان،1404ه/ 1984م.

70- المدني أحمد توفيق، **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766- 1791م (سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

ـــــ ، ـــــــ، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1168- 1246ه/ 1754- 1830م، الشركة الوطنية، الجزائر،1974م.

71- مروم بك خليل، **أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة و الاجتماع**، لجنة التراث العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1971م.

72- المزاري الآغا بن عودة، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، ج2، تح: يحي بوعزيز، دار البصائر، ط1، الجزائر، 2007م.

73- مفتاح عبد الباقي، **أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه**، دار الوليد، الوادي، الجزائر.

74- المناعي محمد، **رسالة المناعي إلى المشير الأول أحمد باي في الشكوى من أحمد ابن أبي الضياف وسائر أعدائه**، تق وتح: أحمد الطويلي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1397ه/ 1977م.

75- منور العربي، **تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر**، دار المعرفة، الجزائر.

76- مياسي إبراهيم، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837– 1934م**، دار هومة، الجزائر، 2005م.

ـــــ ، ـــــــ، **المقاومة الشعبية الجزائرية**، دار مدني، الجزائر، 2008م.

77- نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**،مؤسسة نويهض الثقافية،ط2، بيروت، لبنان،1400هـ/ 1980م.

78- الهاشمي عبد المنعم، **موسوعة تاريخ العرب العصر الحديث**، دار البحار، ط1، بيروت، لبنان، 2006م.

79- هلال عمار، **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830– 1962م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

ـــــ ، ـــــــ، **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين (13/ 14هـ)**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2010م.

80- هلايلي حنيفي، **أوراق في تاريخ الجزائر على العهد العثماني**، دار الهدى، ط1، الجزائر، 1429هـ/ 2008م.

81- هنية عبد الحميد، **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال**، منشورات تبر الزمان، ط5، تونس، 2012م.

82- الوهراني مسلم بن عبد القادر، **تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر**، تح وتق: بونار رابح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ/ 1974م.

2– المراجع الاجنبية

1- Bessaih Boualem, **De Louis Philippe à Napoléon III (l'Emir Abdelkader Vaincu mais triomphant),** Editions ANEP, Rouiba, Alger, 2010.

2- HagguiJamel**, Les Algérien Originaires Du Sud dans la Ville de Tunis Pendant L'époque coloniale (1881- 1956) (Mozabites,**

Souafas et Ouarglias), Sous la direction de lq prof Habib Kaz, Universitaire de Manouba, Tunisie, 2003/ 2004.

3-Octave Dépont et xavier coppolani, **les confréries religieuses musulmanes**, typographie et lithographie. Adolphe, libraire éditeur, Alger, 1897.

4-Temimi Abdeljelil, **Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830- 1837)**, 1978.

3– الرسائل الجامعية

1-الإمام رشاد، **سياسة حمودة باشا في تونس 1782– 1814م**، رسالة دكتوراة في الفلسفة، الجامعة الأمريكية، بيروت.

2- زقب عثمان، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف1918– 1947م وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا**، رسالة ماجستير، مخ، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر، 2005-2006م.

3- العجيلي التليلي، **الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881– 1939م**، رسالة دكتوراة (المرحلة الثالثة)، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1992م.

4- الهويمل البندري بنت عبد الرحمان، **منهج ابن الفرس في ترجيحاته في التفسير من خلال كتابه أحكام القرآن**، رسالة ماجستير،جامعة الإمام محمد بن مسعود، السعودية، 1431هـ.

4–المجلات والملتقيات

1- بن جابو أحمد، " المهاجرون الجزائريون في مناجم قفصة بتونس"، **مجلة المصادر**، ع 22، المركز الوطني للدراسات والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م،20 -21 أكتوبر2010م.

2- بن حراث علي، "أسباب تركيز الرحلة العلمية الجزائرية على تونس"،الملتقى الدولي حول:**التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1881–1954م، يومي 10/ 11 نوفمبر 2013م**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الوادي، الجزائر،2013م.

3- بوعزيز يحي، "موقف بايات تونس من ثورة الأمير عبد القادر"، **مجلة الأصالة**، ع 23، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر.

4- بوعزيز يحي ، "وثائق جديدة عن موقف الأمير عبد القادر والدولة العثمانية من الثوار المقرانيين عام 1871م"، **مجلة الثقافة**، ع 39، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1397هـ/ 1977م.

5- ناصر بالحاج، "جوانب من المعاملات المالية بوادي ميزاب في القرنين 18- 19 الميلاديين من خلال دفاتر بعض التجار"، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول: **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12- 13هـ/ 24- 25 جانفي 2012م**، مطبعة منصور، 2012م.

6- بن حيدة يوسف،" التواصل الطرقي بين الجنوب الشرقي الجزائري ومنطقة الجريد خلال القرن 19م"(وادي سوف أنموذجا)"، الملتقى الدولي حول:**التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1881-1954م، يومي 10/ 11 نوفمبر 2013م**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الوادي، الجزائر،2013م.

7- بن موسى موسى، "هجرة الجزائريين إلى تونس بين تلبية الحاجيات الاجتماعية وإحداث التكامل الثقافي في النصف الأول من القرن 14هـ/ 20م (وادي سوف نموذجا)"، الملتقى الدولي حول:**التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1881-1954م،يومي 10/ 11 نوفمبر 2013م**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الوادي، الجزائر،2013م.

8- حميدي بوبكر، "التواصل الاجتماعي بين وادي سوف وتونس"، الملتقى الدولي حول:**التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1881-1954م، يومي 10/ 11 نوفمبر 2013م**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الوادي، الجزائر،2013م.

9- زقب عثمان، "نماذج من سياسة التقييد والرقابة للإدارة الاستعمارية على التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1881-1954م (وادي سوف أنموذجا)"، الملتقى الدولي حول:**التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1881-1954م، يومي 10/ 11 نوفمبر 2013م**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الوادي، الجزائر،2013م.

10- عقبة السعيد، "الزاوية التجانية بتماسين ودورها الاجتماعي بالمنطقة"، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول:**الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12- 13هـ/ 24- 25 جانفي 2012م**، مطبعة منصور، 2012م.

11- هواري مختار، "وضعية الجالية الميزابية بتونس خلال فترة الحماية الفرنسية عليها"، الملتقى الدولي حول:**التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1881-1954م، يومي 10/ 11 نوفمبر 2013م**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الوادي، الجزائر،2013م.

12- يحياوي جمال، "دوافع الهجرة الجزائرية للخارج خلال القرن 19م"، أعمال الملتقى الوطني حول:**الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال 1830- 1962م، المنعقد بفندق الأوراسي يومي 30- 31 أكتوبر2006م**، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م.

فهرس

الأعلام

فهرس الأعلام

(أ)

إبراهيم الرياحي: 6، 7، 11، 23، 73، 74، 79.

إبراهيم باي: 43.

إبراهيم بن احمد الكبير: 82.

إبراهيم بن عون: 44.

إبراهيم خريف: 81.

ابن أبي الدينار: 22.

ابن الأحرش: 27.

ابن الخوجة :5.

ابن خلدون(ولي الدين): 19،21.

ابن خلكان: 21.

ابن رسغي: 64.

ابن عذارى: 22.

ابن فرحون: 21.

ابن منصر: 64.

أبو كابوس: 53، 55.

أحمد الأبي: 8.

أحمد الباهي: 3.

أحمد البرانسي: 20.

أحمد التجاني: 73، 78، 79.

أحمد الجزيري: 50.

أحمد العوادي: 77.

أحمد المازري: 75.

أحمد الوسلاتي الساسي: 49.

أحمد بابا: 20.

أحمد باشا: 51،53.

أحمد باشا قرمانلي: 26.

أحمد باي (التونسي): 8، 10، 17، 23، 42، 43، 44، 60، 65، 81.

أحمد باي (الجزائر): 32، 37، 38، 39، 40، 64، 69.

أحمد بلحملاوي: 59.

أحمد بن سعيد العباسي: 77.

أحمد بن مخلوف الشابي: 82.

أحمد زروق: 44.

أحمد شلوش: 26،53.

إسماعيل التميمي: 6، 7، 23، 74.

الإغريسي أحمد بن محمد: 77.

الأفضلي: 77.

الأمير عبد القادر: 40، 41، 42، 43، 44، 45، 59، 74.

الأميرآلي كالي قارس: 20.

(ب)

بالضياف: 3، 23.

برتوزان: 39.

البشير الزواوي: 9.

بوبكر بن أحمد الشريف: .82

بوبكر بن خالد: 81.

بيرم الخامس: 59.

(ج)

الجنرال زروق: 47.

(ح)

حسن الشريف: 7،20.

حسن باي (قسنطينة):50،53.

حسن باي بن إسماعيل: 31،49.

حسن بن بريهمات: 78.

الحسن بن عزوز: 43.

حسن بوكاف:39.

حسن حسني عبد الوهاب: 22.

حسونة المورالي: 35، 36، 39، 55.

حسين باشا (داي الجزائر): 32، 33، 34، 36، 38، 53.

حسين باي (تونس): 7، 9، 10، 16، 22، 23، 34، 35، 37، 43، 72، 73، 74.

الحفناوي بن مصطفى: 81.

حمودة باشا :7، 9، 16، 20، 22، 23، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 43، 49، 50، 51، 52، 54،55 ، 65، 67، 68، 82.

حمودة عبد العزيز: 22.

حميدة بن عياد: 50.

(خ)

خليفة الشاطر: 15.

خير الدين آغا: 39.

خير الدين باشا: 5، 12، 13، 17، 42، 78.

خير الدين كاهية: 11.

الخيراني: 77.

(د)

دوفال: 33.

دي برمون: 36.

(ر)

الراشدي الحبيب بن محمد: 77.

الرايس حميدو: 53،54،55.

رجب بونمرة: 51.

الرحموني: 76.

الرعيني: 21.

(ز)

زاكي كرطوزو: 43.

الزركشي:21.

(س)

سعيد بن يوسف:76.

سليم آغا: 36.

سليمان المحجوب: 37.

سليمان بن جلاب: 60

سليمان كاهية: 23، 31، 35، 50، 51، 52، 53، 55.

سليمان كاهية الأول: 50.

سليمان كاهية الثاني: 23.

(ص)

صالح الكواش: 7،8.

صالح باي: 30، 49،67.

(ط)

طاهر باشا: 35،78.

الطاهر بن الصادق القماري: 74.

الطولقي: 77.

الطيب بن عمران الشعانبي: 61.

(ع)

عاشور الخنقي: 78.

عبد الباقي الهرماسي: 15.

عبد الرحمان الكامل: 9.

عثمان باي: 32.

العربي البشيري: 66.

علي التماسيني: 74،75،78.

علي الجزيري: 26.

علي الساسي: 63.

علي برغل: 26.

علي بن عمر: 80.

علي بن عيسى الينبوعي: 79.

علي بن غذاهم: 46،63.

علي خوجة (داي الجزائر):53،54،56.

عمار بن زقوطة: 32.

العوامر: 74.

(ك)

كلوزيل: 37،38،39.

كولي: 33.

(ل)

لامورسيير:41.

ليون روش: 75.

(م)

الماجي بن عثمان: 64.

محمد الأصرم :28.

محمد الإمام المنزلي: 82.

محمد البحري: 6.

محمد البرادعي: 31،49.

محمد البشير: 79.

محمد التهامي شطة: 77.

محمد السنوسي: 3،10،11،15.

محمد الصادق باي: 11، 12، 15، 17، 21، 44، 45، 62، 65، 66، 71، 81.

محمد الصغير بن الحاج: 42.

محمد الصغير بن عبد الرحمان: 43،44.

محمد العيد: 48،75،79.

محمد الفاسي: 7.

محمد الكبلوتي: 45.

محمد المسعودي: 50.

محمد المسناوي: 44،46.

محمد المكي بن عزوز: 77،80.

محمد النوري البوبكري: 49.

محمد باي: 11، 17، 44، 65، 66، 75.

محمد بن الخوجة: 7.

محمد بن سالم: 79.

محمد بن سليمان المناعي: 8.

محمد بن عبد الرحمان الجرجري: 79.

محمد بن عبد الرحمان باش تارزي: 80.

محمد بن عبد الله الشريف: 44.

محمد بن عبيد الله المهدي: 22.
محمد بن عيسى الجزائري: 76.
محمد بن محمد مخلوف: 21.
محمد بن ملوكة: 8.
محمد بن مهنية: 49.
محمد بوعلاق اليعقوبي: 44.
محمد بيرم الثالث: 6.
محمد رايس المورالي: 54.
محمد شاكير: 35،22،16،10.
محمد شمام: 19.
محمد شولاق: 39.
محمد صالح المزالي: 13.
محمد كاهية: 35.
محمود الثاني: 29.

محمود باشا: 32،31،23،16.
محي الدين بن الأمير: 45.
محي الدين بن عبد القادر بن أبي صالح
:82.
المختار بن خليفة: 80.
المزاري الآغا بن عودة: 39.
مصطفى الشاوش: 77.
مصطفى أنقليز: 52،50،28،27.
مصطفى باي: 10، 24، 45، 72.
مصطفى بن عزوز: 81،47،46.
مصطفى خزندار: 45،42،13.
مصطفى صاحب الطابع: 37،43.
المقايسي: 76.
المقراني: 42.
المقريزي: 21.
المنصف الشنوفي: 12.
الميزوني: 45.

(ن)

نابليون الثالث: 17،42.
ناصر بن شهرة: 82،45،44.

(هـ)

هودر: 39.

(ي)

يوسف الليفرو: 46.
يوسف صاحب الطابع: 3، 7، 8، 9، 12، 16، 22، 23، 32، 50، 52، 53، 55، 77.

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس البلدان والأماكن

(أ)

أزمير: 68.

إسبانيا: 70.

الأستانة: 5،13.

أسطنبول: 30.

الاسكندرية: 41.

الأغواط: 44،71،77،78،82.

أفريقية: 16.

إنجلترا: 32.

(ب)

باجة: 79.

باردو: 17 ،48 ،49.

باريس: 5،12،24.

بجاية: 59.

بحيرة دريد: 51،66.

البرتغال: 29.

البرج الأحمر: 39.

برج المرسى: 34.

بريطانيا: 29.

بسكرة: 44، 70، 71، 77، 80.

بلاد الشام: 59.

بلاد المغرب: 78.

بلدة الشابية: 82.

البليدة: 59.

بنزرت: 59،60،79.

بني يزقن: 61،76.

بومرزوق: 51.

بوسعادة: 59،71.

بئر الجديد: 71.

بيروت: 68.

(ت)

تاغزوت: 75،62.

تبسة: 65،50،31.

تقرت: 72،71،70.

تلمسان: 81،60.

تماسين: 76.

تملاحت: 80.

توزر: 42،47،44،61، 79، 82.

تولون: 41.

تونس: 2، 4، 5، 6، 8، 10، 13، 16، 17، 18، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 34، 36، 37، 38، 39، 40، 42، 43، 44، 45، 46، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 59، 60، 61، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70،

73،71، 74، 75، 76، 77، 78،
79، 81، 82.
التيطري: 36.

(ج)

جامع أبي محمد الحفصي: 6.
جامع الأزهر: 79.
الجامع الأعظم: 6، 8، 9، 77.
جامع الزيتونة:7، 8، 17، 61، 74،
76، 77.
جامع صاحب الطابع: 4، 6، 7، 12،
23.
جامع محمد الباي المرادي: 5.
جبل بني عيسى: 76.
جبل طارق: 43.
جربة: 26، 61، 64، 70، 71،
76.
جرجرة: 59، 76.
الجريد: 30، 44، 63، 69، 70،
74، 77، 79، 82.
الجزائر: 6، 16، 17، 22، 23، 26،
27، 28، 29، 30، 31، 32، 33،
34، 35، 36، 37، 39، 40، 41،
42، 43، 47، 48، 49، 50، 53،
54، 55، 56، 58،59، 60، 61،
62، 63، 64، 65، 67، 68، 69،
70، 71، 72، 73، 74، 75، 76،
77، 78، 79، 80، 82.
جميلة: 50.

(ح)

الحجاز: 26.
حصن لاماق: 42.
حلق الوادي: 32، 45، 49، 56.
حمام الأنف: 64.

(خ)

الخروب: 72.

(د)

الدانمارك: 51.
دمشق: 46.
الدولة العثمانية: 11، 18، 19، 29، 30،
31، 32، 35، 55.
الدولة المرادية: 17.

(ز)

زاوية البرج (طولقة): 81.
الزاوية التجانية: 80، 81.
الزاوية الرحمانية: 60،82.
زاوية الشاوش صالح: 80.

زاوية الشيخ مبارك: 81.
زاوية الصديق أعراب :79.
الزاوية العزوزية: 81.
الزاوية القادرية: 82
زاوية الكاف: 81.
زاوية الهامل: 80، 81.
زاوية أولاد جلال: 80.
زاوية بن ملوكة: 4.
زاوية تالة: 81.
زاوية تماسين: 79.
زاوية توزر: 81، 82.
زاوية خنقة سيدي ناجي: 80، 81.
زاوية طولقة: 80.
زاوية عبد الكريم: 40.
زاوية عين ماضي: 79.
زاوية محمد التباني: 81.
زاوية نفطة: 81، 82.
الزقم: 61.
الزيبان: 43،71.

(س)

الساحل: 71.
سطيف: 59.
سلاطة: 51، 52، 53.
سوسة: 61.
سوق أهراس: 62، 64، 70، 71، 81.

(ص)

الصحراء: 40، 48.
صفاقس: 71.

(ط)

طرابلس: 26، 27، 65.
الطيبات: 79.

(ع)

العراق: 82.
عكا: 41، 51.
عنابة: 43، 59، 62، 67، 82.

(غ)

غدامس: 70، 71، 72.
غرداية: 61.

(ف)

فاس: 6،8.
فرجيوة: 59.
فرنسا: 11، 12، 13، 17، 29، 33، 34، 35، 37، 38، 39، 41، 42، 43، 44، 45، 47، 59، 63، 68، 82.

(ق)

القرارة: 61.

قرى الزاب: 78.

قرية أبي سمغون: 79.

قرية البرج: 77.

قسنطينة: 6، 10، 23، 27، 30، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 47، 49، 50، 51، 52، 53، 59، 64، 66، 68، 69، 70، 71، 72، 74، 78، 80.

القصبة: 58.

قصر بو: 41.

قصر لامبواز: 41.

القصرين: 81.

قفصة: 71، 74.

القل: 68.

قمار: 71،74،79.

القيروان: 16، 47، 74.

(ك)

الكاف: 55،62،70،71.

كُتاب سيدي بن عروس: 4.

كوينين :61، 71.

(م)

ماطر 61.

المحمدية: 21.

المدرسة الحربية: 17.

المدرسة الشماعية: 5.

مدرسة باردو: 9.

المدية: 59.

مرسى الوادي: 55.

معسكر: 59.

المغرب الأقصى: 69.

المكتبة الأحمدية: 17.

المملكة المغربية: 7.

منزل بوزلفة: 82.

المهدية: 16،60.

ميناء قابس: 70.

(ن)

نفطة: 42، 44، 70،71،77،78، 79، 81، 82.

(و)

وادي سوف: 60، 61، 63، 68، 70، 71، 72، 83.

وادي ميزاب: 61، 63، 71، 73، 76.

ورقلة: 44، 70، 71.

وهران: 53، 59.

فهرس الشعوب والقبائل

فهرس الشعوب والقبائل

(أ)

أبناء زقوطة: 60.

الأرناؤوط: 54.

آل قرمانلي: 26.

الأمريكان: 55.

الأنجليز: 55.

الإنكشارية: 65.

أولاد جلال: 80.

أولاد رحمون: 76.

أولاد سيدي حمادة: 9.

أولاد عاشور: 59.

أولاد عز الدين: 59.

أولاد عون: 2،9.

أولاد مقران: 42،45،60.

أولاد مناع: 8.

(ب)

بنو اسحاق: 60.

بنو عزوز: 60.

بني الأغلب: 16.

بني حفص: 16.

بوعكاز: 60.

(ت)

الترك: 51.

التونسيون:

30،36،39،52،53،56،62،67.

(ج)

الجزائريون: 28، 35، 49، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 58، 62، 69، 63، 70، 73.

(ح)

الحنانشة: 44، 64.

(ز)

الزواوة: 64،65،66.

(س)

السوافة: 60،63،69،74.

(ص)

الصبايحية: 47،82.

صنهاجة: 16.

(ط)

طرود: 61.

(ع)

عرب بني سليم:64.

عروش دريد: 8،46،50،51،66.

(ف)

الفرنسيون: 12، 16، 31، 34، 35، 37، 40، 41، 43، 44، 47، 55، 59، 60، 62، 68، 78.

(ق)

قبيلة أولاد عبد النور: 47.

(م)

ماجر: 47،82.

المصاعبة: 61.

الميزابية: 60،61.

النمامشة: 64.

نهد: 31.

(هـ)

الهلالية: 64.

هوارة: 64.

(ي)

اليهود: 72.

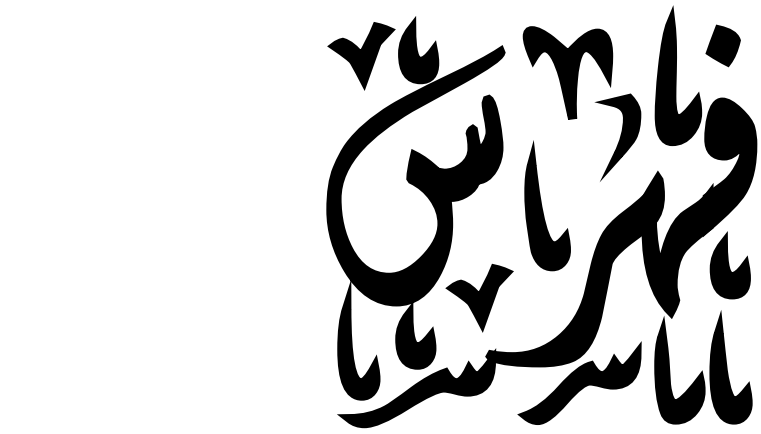

فهرس الموضوعات

إهداء

شكر وعرفان

مقدمة.....أ-د.

الفصل الأول: ابن أبي الضياف (حياته وكتابه إتحاف أهل الزمان) .....2-24.

أولا: التعريف بابن أبي الضباف .....2-13.

1- مولده ونشأته.....2-3.

2- ثقافته وشيوخه.....3-9.

3- وظائفه.....9-12.

4- وفاته وآثاره.....12-13.

ثانيا:إتحاف أهل الزمان (دراسة الكتاب) .....13-24.

1- التعريف بكتاب إتحاف أهل الزمان .....13-18.

2- منهج ابن أبي الضياف في كتابه.....18-20.

3- مصادر ابن أبي الضياف .....20-24.

الفصل الثاني: العلاقات السياسية والعسكرية من خلال إتحاف أهل الزمان .....26-56.

أولا : العلاقات السياسية .....26-48.

1- العلاقات السياسية قبل احتلال الجزائر .....26-30.

2- الحدود والوكلاء.....30-32.

3- موقف بايات تونس من الاحتلال الفرنسي للجزائر.....32-37.

4- علاقة المقاومات الجزائرية بنظام الحكم في تونس .....37-46.

5- ثورة علي بن غذاهم عام 1864م ونتائجها .....46-48.

ثانيا: العلاقات العسكرية .....49-56.

1- محلة تونس نحو قسنطينة 1221هـ /1807م .....50-51.

2- موقعة سلاطة 1222هـ /1807م .....51-53.

3- محاولة الجزائريين حرب تونس 1223هـ/1808م .....53-54.

4- حملة بحرية جزائرية 1226هـ /1811م.....54-55.

5- حملة حلق الوادي نحو الجزائر 1236هـ/1821م .....56.

فهرس الموضوعات

الفصل الثالث: العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية من خلال إتحاف أهل الزمان
.....82-58.
أولا : العلاقات الاجتماعية .....66-58.
1- الهجرة الجزائرية إلى تونس .....63-58.
2- علاقة الحنانشة والزواوة بتونس.....66-63.
ثانيا: العلاقات الاقتصادية .....72-67.
1- السلع والبضائع المتبادلة .....70-67.
2- الطرق التجارية .....72-70.
ثالثا: العلاقات الثقافية .....82-73.
1- زيارة العلماء واستفتاؤهم .....75-73.
2- الرحلة العلمية الجزائرية إلى تونس .....78-75.
3- دور الطرق الصوفية في التواصل..... 82-78.
خاتمة .....86-84.
ملاحق .....90-88.
قائمة المصادر و المراجع.....107-92.
فهرس الأعلام .....112-109.
فهرس البلدان والأماكن.....117-114.
فهرس الشعوب والقبائل.....120-119.
فهرس الموضوعات .....122-121.